سلسلة الرسائل النافعة
(١-٤)

مجموع



فيه أربع رسائل:

1. مقدمة مهمة في تحقيق كلمة التوحيد.
2. معنى الإسلام والإيمان، وأيّهما أعم وأشمل؟
3. كيف يتوجه المسلمون إلى القبلة؟
4. حقيقة جهة القبلة في جنوب الجزيرة العربية.



بقلم
فضيلة الشيخ محمد بن أحمد بن عليّ الحَكَميّ
المتوفى رحمه الله تعالى سنة ١٤٢١ هـ

حققها وأشرف على طباعتها
الفقير إلى عفو ربه تعالى
عبد الله بن محمد «سفيان» الحَكَميّ

سلسلة الرسائل النافعة
(١-٤)

مجموع

فيه أربع رسائل:

١ مقدمة مهمة في تحقيق كلمة التوحيد.

٢ معنى الإسلام والإيمان، وأيّهما أعم وأشمل؟

٣ كيف يتوجه المسلمون إلى القبلة؟

٤ حقيقة جهة القبلة في جنوب الجزيرة العربية.

بقلم
فضيلة الشيخ محمد بن أحمد بن عليّ الحَكَميّ
المتوفى رحمه الله تعالى سنة ١٤٢١ هـ

حققها وأشرف على طباعتها
الفقير إلى عفو ربه تعالى
عبد الله بن محمد «سفيان» الحَكَميّ

ح محمد أحمد الحكمي ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحكمي ، محمد أحمد

مجموع فيه أربع رسائل. / محمد أحمد الحكمي - الدمام ، ١٤٢٤هـ

٨٠ ص ، ٢١ × ١٤ سم

ردمك : ٤ - ١٨ - ٤٤ - ٩٩٦٠

١- الإسلام - مجموعات أ- العنوان

ديوي ٢١٠,٨ ١٤٢٤/٥٧٩٥

رقم الإيداع ١٤٢٤/٥٧٩٥

ردمك : ٤ - ١٨ - ٤٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

يطلب من دار الذخائر للنشر والتوزيع

الخبر : ٣١٩٥٢ - تلفون وفاكس : ٨٩٤١١٣٦ - ٨٩٣١١٥٨

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

التقديم

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين نبينا وقدوتنا وحبيبنا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فبين يديك ـ أخي القارئ الكريم ـ مجموع يشتمل على أربع رسائل لصاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمد بن أحمد بن عليّ الحكميّ رحمه الله تعالى .

وإليك تعريفاً موجزاً بهذه الرسائل الأربع .

الرسالة الأولى : مقدمة مهمة في بيان كلمة التوحيد : تعريفها ، ومقتضاها وواضعها ، ومصدرها ، وأركانها ، وأقسامها ، وشروطها ، وغايتها ، ونواقضها .

الرسالة الثانية : إجابة على سؤال وجَّهه إليه أحد طلاب العلم عن الإسلام والإيمان : أيهما أعمُّ وأشمل ؟

وقد ذكر الشيخ في بداية جوابه أن هذه المسألة من أكبر المسائل التي كثر فيها الخصام ، وطال فيها النزاع قديماً وحديثاً ، وأُلّفت فيها المجلدات

بين رادّ ومردود عليه ، وبيّن كذلك أن أول حدوث لهٰذا النزاع كان في عصر الصحابة رضي الله عنهم حيث ظهرت بدعة الخوارج ثم تبعهم على ذلك طوائف المعتزلة والجهمية والمرجئة .

وذكر رحمه الله تعالىٰ أنه في هٰذه الرسالة أحب أن يذكر خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة علىٰ ضوء أدلة الكتاب والسنة .

وقد عرض لهٰذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية في مصنفاته ، وللشقيق الأصغر للمؤلف العلّامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكميّ تفصيل يتعلق بهٰذه المسألة في كتابه « معارج القبول »[1] .

الرسالة الثالثة والرابعة : تتعلقان بموضوع واحد مهم جداً يتعلق بأعظم شعائر الإسلام ، ألا وهو تحديد جهة القبلة .

وقد اهتم رحمه الله تعالىٰ بهٰذه القضية اهتماماً كبيراً ، بل كانت شغله الشاغل من نحو ربع قرن أو يزيد .

وسبب هٰذا الاهتمام اكتشافه انحراف المساجد في المنطقة الجنوبية عن القبلة الصحيحة إلىٰ اليمين ، واتّضح له أن سبب هٰذا الانحراف الخطير اعتقادهم أن قبلة المنطقة الجنوبية هي إلىٰ جهة النجم القطبيّ الشماليّ

---

(١) (٢/٥٩٥-٦١٢) ط : دار ابن القيم رحمه الله تعالىٰ .

الـذي يعـرف في بلادنا عند العامة بـ « الجاه » وبُـنـيـت مساجد المنطقة علىٰ هـٰذا الاتجاه الخاطئ .

وأول اكتشـاف لـهـٰـذا الخطـأ مـن قِـبَل الشـيخ كـان في بدايـة عقـد التسـعينيّات الهجـرية ، وقـد سألته قبل عشرين عاماً عن سرّ اكتشافه لـهـٰـذا الخطأ ، ولِـم لَم يظهر له ولغيـره من قبل ؟! فأجابني بأن هـٰـذا الخطأ لـم يتبين له إلا بعد كثرة أسفاره عن طريق البر إلـىٰ مكة المكرمة حرسها الله تعالـىٰ .

وحيـنما تبين له الاتجاه الصحيح للقبلة ، ألزم نفسه في بداية الأمر بالاتجاه إلـىٰ هـٰـذا السـمت سـواء كـان إمامـاً أو مأموماً ، وقابله الناس ـ كما هو دأبـهم في كـل زمـان ومكـان ـ بالاستنكار والمعارضة ، بل إن بعضهم اتـهم الشيخ بالخَرَف وتـغـيّـر العقـل ، ولٰـكـنه صبـر وصابر واحتمل مارآه من احتقار وامتعاض ، وماسـمـعـه من سخرية وغمز ولـمز ؛ حتىٰ أظهر الله الحق علىٰ يديه ، ووجد التأييد التامّ من طلاب العلم العقلاء ، وجُـلّهم من الشباب الذين يعرفون قدر الشيخ ، ثـم تـفـهَّـمَتْ إدارة الأوقاف آنذاك حقيقة هـٰـذا الأمـر فـلم يوافقـوا عـلىٰ بـناء المساجد الجديدة إلا بعد تحديد القبلة بواسطة الجهـاز المعـروف بـ « البوصـلة »[1] ومـازال الأمر كذلك بالنسبة للمساجد في

---

(١) جهـاز تحديـد القـبلة « البوصلة » جهاز دقيق جداً ، جُرّب على قبلة المسجد النبوي مرات وممن جـربه كاتـب هـٰـذه الرسـائل فجـاء مطابقـاً لـه تـماماً ، ولايزال هـٰـذاالجهاز مـحـل اهتمام الناس في أسفارهم ورحلاتـهم وهو من نعم الله تعالـىٰ علىٰ المسلمين .

المدن والقرىٰ الكبيـرة حسب علمي ، ولايزال الأمر يحتاج إلـىٰ مزيد عناية .

وأعود إلـىٰ الرسالتين المتعلقتين بـموضوع القبلة مبـيّناً أن الرسالة الأولـىٰ تتحدث عن أهمية القبلة بالنسبة للمسلمين ، وفيها تحديد لجهات القبلة في أكثر أنحاء العالم الإسلاميّ ، ثـم عطف علىٰ ذلك بالحديث عن جهة القبلة في جنوب جزيـرة العـرب عامـة من حضرموت إلـىٰ جنوب المملكة ، وعالج بوجه خاص مشكلة الانحراف عن القبلة في منطقة جازان ، وردّ علىٰ حجة من يستشهدون علىٰ صحة التوجه إلـىٰ جهة النجم القطبيّ في زعمهم بحديث « مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْـرِبِ قِـبْـلَـةٌ »[1] وبـيّن أنـه استدلال غير صحيح ، وفهم للحديث غريب وبرهن علىٰ أن هـٰذا الحديث خاص بالمدينة النبوية ومافي سـمتـها من الديار .

أمـا الرسـالة الثانـية : فهي خاصة بـمعالجة الانحراف عن القبلة في المنطقة الجنوبـية ، وقـد ظهـرت حُرقة الشيخ وغيرته الشديدة في ثنايا الرسالة بسبب عدم الاهتمام بـهـٰـذا الأمر المهم ، وبين الرسالتين عموم وخصوص .

وإنـنـي في هـــٰذه المقدمة أهيب بفضيلة المدير العام لفرع وزارة الشؤون الإسلامـية[2] بـمنطقة جازان باعتباره المسؤول الأول عن وضع المساجد بالمنطقة

(١) سيأتـي تخريجه في موضعه بإذن الله تعالـىٰ في ص (٥٩) .

(٢) من الموافقات العجيبة خبـر أفرحنـي كثيـراً لسببيـن :

أولـهمـا : أن هـٰذا الخبـر يدل علىٰ اهتمام وزارة الشؤون الإسلامية ببيوت الله تعالـىٰ . =

وأهيب كذلك بالمشايخ وطلاب العلم أن يولوا هـذا الأمر عناية كبيرة تتناسب مع أهمية هـذا الأمر الذي يعد من الشروط التي لاتصح الصلاة إلا بها .

فإلىٰ جانب تحديد قبلة المساجد الجديدة لابد من تعديل قبلة المساجد القديمة حتىٰ لايبقىٰ أحد من المصلين يصلي إلىٰ غير القبلة .

أما مايحتج به بعض الأحبة من قولهم : إنكم الآن تخطِّئون أجيالاً عاشوا طول حياتهم يصلون إلىٰ هـذه الجهة ، وتحكمون عليهم أنهم صلوا إلىٰ

= ثانيهما : تزامن هـذا الإعلان مع صدور هاتين الرسالتين ضمن هـذا المجموع .

وهـذا هو الخبر كما نُشر في صحيفة عكاظ ـ العدد ١٣٤٣٠ في ١٤٢٤/٤/٤هـ : ص (٣١) ـ دون تصرف « قامت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بتوجيه من وزيرها رئيس اللجنة العليا لبرنامج العناية بالمساجد ومنسوبيها الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ بالتعاون مع مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بتحديد إحداثيات جهة القبلة في معظم مدن المملكة ، ومحافظاتها ، ومراكزها البالغ عددها (٦١٨) مدينة ومحافظة ومركز وهجرة .

أوضح ذلك وكيل الوزارة لشؤون المساجد والدعوة والإرشاد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله العمّار ، وقال : إن الوزارة قامت بتأمين أجهزة علمية حديثة وزعت على فروع الوزارة لتحديد اتجاه القبلة بناء علىٰ درجة الإحداثيات بالاستعانة بالقمر الصناعي ، كما تم تدريب موظفين في مختلف فروع الوزارة الثلاثة عشر علىٰ كيفية استخدام تلك الأجهزة ؛ ليقوموا بعملية تحديد اتجاه القبلة عند تشييد المساجد الجديدة ، أو إعادة بناء المساجد القديمة في جميع مناطق المملكة . وأكد فضيلته ـ في هـذا الصدد ـ اهتمام الوزارة ، وحرصها التام علىٰ استخدام الأجهزة المتطورة والتقنية الحديثة ، والاستعانة بالقمر الصناعي لتحديد قبلة المساجد والجوامع بدقة » .

غيـر القبلة ، فنقول لهم : إن هـٰذه الحجة غيـر صحيحة ، والخطأ لايجوز الاستمرار عليه .

إن الأجيال الذين رحلوا عن هـٰذه الدنيا معذورون ؛ لأنهم يعتقدون أن هـٰذه الجهة التي نشأوا وهم يصلون إليها هي القبلة الصحيحة ، وورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم ، والله لايكلف نفساً إلا وسعها ، والجاهل معذور حتىٰ يعلم وتقام عليه الحجة[1] .

أمّا نحن وقد عرفنا الاتجاه الصحيح ، وأن الجهة التي وُجِّهت إليها المساجد القديمة ليست إلىٰ القبلة فلسنا معذورين ، ولايجوز لنا أن نكابر ونبقىٰ راضين بهـٰذا الخطأ الواضح .

وأما بالنسبة لعملي في خدمة هـٰذه الرسائل فرأيت أن أقتصر علىٰ العناية بالنص ، إذ لم أعلّق إلا علىٰ الأمور التي تحتاج إلىٰ تعليق خشية إثقال الحواشي

---

(١) ومن الموافقات كذلك وبُعيد كتابة هـٰذه الأسطر رأيت أثناء تصفحي لصحيفة أهل الخير خبراً مفاده أن سكان إحدىٰ القرىٰ في تركيا اكتشفوا بعد ستين عاماً أنهم يصلون إلىٰ جهة معاكسة للقبلة ، وهاأنذا أورد الخبر بنصه كما نشر في صحيفة أهل الخير ـ العدد الثالث عشر في يوم السبت ١٠ صفر سنة ١٤٢٤هـ ـ تقول الصحيفة : « اكتشف سكان إحدىٰ القرىٰ أنهم منذ ستين عاماً وهم يصلون عكس القبلة !! ففي إطار الجهود التي تبذلها حكومة حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا لبناء مساجد جديدة وترميم المساجد القديمة في البلاد قامت الأجهزة المحلية بتنكيس أحد المساجد في قرية =

بـمـا يحول بيـن القارئ والانـتـفاع بـمحتوىٰ هـٰـذه الرسائل .

وأهم الأمور التي تناولتها بالتعليق :

١/ عزو الآيات القرآنية إلىٰ مواضعها في السور .

٢/ تخريج الأحاديث تخريجاً موجزاً .

٣/عزو بعض الآثار اليسيرة والتعليق عليها ، وتوثيق النصوص من مصادرها .

والرسـالتان الأُولـيان مـمـا تيسـر لـي الاحـتفاظ بـهما أيام كنت أتلقىٰ التعليـم في المعهـد العـلميّ ، وأمـا الرسـالتان المتعلقـتان بالقبلة فحصلت علىٰ الأولـىٰ مـن الأخ الفاضـل الشيخ أبـي شـملة بن محمد الحكميّ ، وهو الذي رغـب إلـيّ أن أقوم بإخراجها ، وتكفل بالإنفاق علىٰ طباعتها مع بقية هـٰـذه الرسـائل ، وزوّدنـي بـبعض ماعـرفه من شـمـائل الشيخ التـي شاهدها عياناً طوال عِشْرته ومرافقته لـه رحمه الله تعالـىٰ .

= (تشـالـي كـوي) إحـدىٰ القـرىٰ التابعة لمدينة آيدن غرب تركيا لبناء مسجد جديد يصلي فـيه أبـناء القـرية ، وفوجيء الأهالـي بأن اتجاه القبلة في المسجد الجديد معاكـس تـماماً لاتجاه القـبلة الـتي كـانوا يصـلون علـيها في المسـجد القديـم فـثارت ثورتـهم وطلبوا تعديل اتجاه المسجد نحو القبلة .

وكانـت المفاجـأة اكتشـافهم أن اتجـاه القـبلة في المسجد القديـم الذي كانوا يصلون فيه منذ بنائه قبل ستيـن عاما عكس الاتجاه الأصلي للقبلة .

ولـم تـهدأ القـرية البالغ سكانـها ٤٥٠ شخصا إلا مع تدخل مفتي المنطقة الذي أكد لـهم أن صـلاتـهم عكس اتجاه القبلة طوال السنوات الستيـن الماضية صلاة صحيحة وأن الذنب يتحمله فقط من قام بتصميم المسجد القديـم)) .

﴿ لمحة عن مؤلف هٰذه الرسائل رحمه الله تعالىٰ ﴾

هو محمد بن أحمد بن عليّ بن أحمد الحكميّ المذحجيّ ، ولد رحمه الله تعالىٰ - كما ذكر ذلك لي - سنة ١٣٣٥هـ[1] في قرية الجاضع بمنطقة جازان وقال لي : أكْبُر شقيقي الشيخ حافظ بن أحمد بسبع سنوات .

نشأ رحمه الله تعالىٰ في أسرة صالحة ، بعيدة جداً عن مظاهر الترف والتنعم ، واشتغل في يفاعته برعي الغنم ، وهو وضع نشأ عليه أكثر أبناء المنطقة ، وحين أكرم الله تعالىٰ منطقة جازان بمجيء الداعية المسدَّد الملهم الشيخ « عبدالله بن محمد القرعاويّ » رحمه الله تعالىٰ ، تتلمذ هو وشقيقه حافظ علىٰ يديه ونبغا نبوغاً ملحوظاً ، وأصبحا أبرز تلاميذه .

وكان بينهما تعاون في المذاكرة ، ولقد أخبرني أنهما استظهرا أهم قواعد التجويد في يوم واحد .

وكان الشيخ محمد معروفاً بحِدّة الذكاء وسرعة الفهم ، فعكف علىٰ الأسفار الضخمة في شتىٰ العلوم ، وبرز بروزاً ملحوظاً في علم العقيدة ومعرفة الفرق ، وبزّ فيه أقرانه ، وشهد له بذلك شيخه الشيخ عبدالله القرعاويّ وكان شقيقه الشيخ حافظ يحيل عليه من يريد التحقيق في قضايا هٰذا العلم ودقائقه ، ويشهد له بعلو الكعب فيه ، ويتناقش معه في معضلاته .

(١) ذكر الأستاذ الدكتور أحمد بن حافظ الحكميّ في دراسته لـ « همزية الإصلاح » لوالده الشيخ حافظ ص (٩) - لم ينشر بعد - أن الشيخ محمد ولد سنة ١٣٣٧هـ بناء علىٰ المثبت في الهوية .

تقلّد رحمه الله تعالى مناصب عدّة ، وفي مناطق مختلفة ، وحين فُتح المعهد العلميّ بسامطة كان من أوائل المعيّنين للتدريس فيه ، وقد أسند إليه تدريس مقرر التوحيد ، وكنت أسمع الطلاب الذين تلقوا عليه وحضروا دروسه يتحدثون عن إعجابهم بغوصه في دقائق هذا العلم ، ومعرفته الواسعة بالفرق الضالة والنحل المختلفة المخالفة لمنهج السلف في العقيدة .

وبعد أن رُزئ أهل العلم في المنطقة بموت الشيخ حافظ بن أحمد الحكميّ رحمه الله تعالى في الثامن عشر من ذي الحجة من عام ١٣٧٧هـ خلفه شقيقه الشيخ محمد في إدارة المعهد العلميّ بسامطة ، وتحمل المسؤولية من بعده ومكث في إدارته أكثر من عشرين عاماً ، مع القيام بتدريس مقرر العقيدة .

نبذة عن بعض صفاته :

كان لي شرف القرب منه أثناء دراستي في المعهد العلميّ بسامطة وكان يقضي جُلَّ وقته في المساء في مسكني ؛ حيث يجد الهدوء الذي يحبه من أجل الاستغراق في القراءة ، وعرفت عنه في تلك الفترة بعض صفاته ومناقبه .

وقد تميّز رحمه الله تعالى بصفات نادرة ، وخصال حميدة ، ولعلّي في هذه العجالة أشير إلى بعضها في فقرات .

فمن صفاته ومناقبه رحمه الله تعالى :

١ - الخشوع وسرعة الدمعة ، فلا يتلو سورة من السور التي تعرض لأهوال القيامة والوعد والوعيد والثواب والعقاب إلا وتخنقه العبرة ، وماقرأ سورة القيامة إلا وبكىٰ ، لاسيما إذا بلغ قوله : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ ... ﴾[1] إلىٰ آخر السورة .

ولقد سمعت شيخنا الجليل الشيخ محمد صغير المحسن رحمه الله تعالىٰ عقب صلاة صلاها خلف الشيخ محمد وكنت معه يقول : إن الشيخ محمداً إذا قرأ القرآن الكريم يدرك حلاوته ، وتتجسد أمامه مشاهد القيامة ، مع ماآتاه الله من حسن الصوت .

٢ - كظمه للغيظ رغم أنه تعتريه حدّة عندما يسمع منكراً أو جدلاً عقيماً ، أو رأياً سخيفاً ، ولـٰكنه يقهر هـٰذه الحدّة بصبره وحلمه في كثير من الأحيان .

٣ - زهده في هـٰذه الحياة ، ويتجلىٰ ذلك كثيراً في ملبسه ، وتقلله من الطعام ، فما عرف أنه يفطر صباحاً ، بل لايتناول إلا وجبة واحدة ، وفي كثير من الأحيان ينسىٰ نفسه ، وأيام كان مديراً للمعهد العلميّ ، يبقىٰ في المعهد يطالع إلىٰ اقتراب غروب الشمس حين يكون صائماً .

---

(١) الآيات (٣٤-٣٦) من سورة القيامة .

٤ - تعلقه بالقراءة وشدة استغراقه فيها ، حتىٰ إنه في كثير من الأحيان لايشعر بالداخل أو الخارج ، ولابما يحدث في المنزل الذي يقرأ فيه ، وكنت أُحضر له كأس الشاي بعد صلاة العصر فينسى شربه ، فأبدله بآخر فينساه رغم تكرار تذكيري له ، وحدثني مرة أنه حصل علىٰ كتاب « الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلّىٰ الله عليه وسلّم » للإمام ابن الوزير اليمانيّ ، ولم يكن قد وقع في يده من قبل ، فشرع في قراءته بعد صلاة العشاء ، ولم يشعر بانقضاء ساعات الليل حتىٰ سمع أذان الفجر فرفع رأسه مستغرباً ، ونظر في ساعته فإذا وقت الفجر قد دخل .

ولقد رأيته مراراً يقرأ ويبكي متأثراً بما يقرأ ، ولم يكن رحمه الله يتثاءب أثناء القراءة ويتمطّىٰ ويتمدّد كما هو حالنا اليوم ، والله المستعان .

٥ - كان رحمه الله محباً للخواص من طلاب العلم ، وكان ـ كما قال عنه ابن أخيه فضيلة الدكتور الشيخ : عبدالله بن حافظ الحكميّ ـ : محبوباً من الشباب يرأف بهم في نصحه وتوجيهه(١) .

٦ - حبه للمساكين وعطفه عليهم ، وكثرة جلوسه في بيوت بعضهم لاسيما إذا كانوا من أقاربه ، فكان ينام عندهم ، ويزور مريضهم ، وكان شفوقاً علىٰ الأطفال يحب مداعبتهم ، وإذا مرض قريب لايهدأ له بال حتىٰ يطمئن علىٰ صحته .

---

(١) في مقال نشره عقب وفاة الشيخ في جريدة عكاظ العدد ١٢٤١٩ .

٧- كان سريع البديهة ، ولاسيما في النكتة ، وله نكات لطيفة لازلت أتذكر بعضها ، وكان خطيباً مفوّهاً جهْوَرِيّ الصوت ، يهز أعواد المنابر .

وإلىٰ جانب ذٰلك كانت له فراسة عجيبة في معرفة مواسم نزول الغيث ويستطيع إذا رأىٰ سحاباً متراكماً ينزل منه المطر أن يحدد موضع نزوله قَرُب أو بَعُد ، مادام يراه رأي العين ، والأعجب من هٰذا أنه يحدد لك من أين بدأ نزوله وإلىٰ أيّ مكان انتهىٰ ؛ أي يقول لك : هٰذا المطر من مكان كذا إلىٰ مكان كذا ، وقد حدَّد لي شخصياً مواقع معينة لنزول المطر في قريتنا وغيرها ، رأيتها معه ونحن في سامطة ، وذهبت بنفسي إلىٰ قريتنا وغيرها فوجدت هٰذه المواقع كما حدّدها ، وهٰذا من أعجب مارأيت في حياتي وكان يحب الزراعة ، وله خبرة بها فائقة .

لِمَ لَمْ يشتغل الشيخ بالتصنيف ؟

هٰذا تساؤل يصدر من كثير من محبي الشيخ لعلمهم بكفاءته ومقدرته علىٰ التصنيف مع إجادة النظم ، بل إنني رأيته يكتبه علىٰ البديهة وله قصائد متفرقة وخطب ورسائل عدّة ضاع أكثرها .

ويرجع عدم اشتغال الشيخ بالتصنيف إلىٰ أسباب منها :

١- تواضع الشيخ المفرط وتغليبه جانب القراءة علىٰ رغبته في التصنيف .

٢- يرىٰ أن المكتبة الإسلامية عامرة بكل مايغني عن الاشتغال بالتصنيف فماذا عسىٰ أن يضيفه من جديد .

٣- أن التصنيف يحتاج إلىٰ حبس للنفس في مكان محدّد ، وطبيعة الشيخ ميالة إلىٰ كثرة التنقل والأسفار ، وهـٰذه الطبيعة لم تحل بينه وبين القراءة فهو يصطحب مايريد قراءته إلىٰ أيّ مكان .

٤- أن الشيخ لم يُرزق طلاباً يصبرون علىٰ ملازمته ويستخرجون علمه عن طريق سؤاله وتدوين تقريراته ، ولاسيما الدقائق المتعلقة بالعقيدة فقد رحل عن هـٰذه الدنيا ، وهي حبيسة في صدره ، رحمة الله عليه .

ومع هـٰذا فقد كتب بعض الرسائل في مواضيع متنوعة ، وكثير منها لم يكتمل ، وقد تم العثور علىٰ أربع رسائل سبقت الإشارة إليها في مطلع هـٰذا التقديم ، رسالتان منهما في العقيدة ، والأخريان في مسألة القبلة .

وللشيخ قصائد قليلة قالها في بعض المناسبات ، أو علىٰ سبيل النصح وتوافر لديّ منها قصيدتان رأيت من المناسب إيرادهما هنا إسهاماً في نشرهما .

أولاهما - قصيدة وعظية توجيهية يمكن أن يكون عنوانها « بين الألم والأمل » وقد ألقاها شيخنا رحمه الله تعالىٰ أمام اللجنة التي جاءت للتفتيش عن مدارس الداعية المصلح الشيخ « عبدالله بن محمد القرعاويّ » رحمه الله تعالىٰ في اليوم الثاني من شهر شعبان عام ١٣٦٥هـ ؛ أي من نحو ٥٩ عاماً وكان إذ ذاك في ريعان شبابه ، فلم يتجاوز سنه ثلاثين عاماً .

قال رحمه الله تعالىٰ :

أُهْدي السَّلَامَ تَحيَّةً في ظِمْنِها   مِنِّي الدُّعَاءُ لجُمْلَةِ الإِخْوَانِ
بالرُّشْدِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْديد في الْـ   أَعْمَالِ في سِرٍّ وَفي إعْلَانِ
فَاللَّـهُ يُرْشِدُنَا وَإِيَّاكُمْ إلَىٰ   أَهْدَىٰ السَّبيلِ الوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
أُوصِيكُمُ نُصْحاً وَنَفْسي بالَّذي   أَوْصَىٰ بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
أن نَأْتَمِرْ[1] بالْعُرْفِ فِيمَا بَيْنَنَا   وَالنَّهْيِ عَن نُكْرٍ وَعَن طُغْيَانِ
وَتَعَاوَنُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا   تَتَعَاوَنُوا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
هَـٰذي طَرِيقُ الْمُرْسَلِينَ جَميعهمْ   وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ
أَنْعِمْ بِهَا مِن سُنَّةٍ مَسْلُوكَةٍ   تَرْقَىٰ بِسَالِكِهَا إِلَىٰ الرَّحْمَـٰنِ
إن تَنصُرُوا دِينَ الإِلَـٰهِ فَإِنَّهُ   يَنصُرْكُمُ أَبَداً مَدَىٰ الأَزْمَانِ
أَوْ تَخْذُلُوهُ فَمَالَكُمْ مِن نَاصِرٍ   فَثِقُوا بِوَعْدِ اللَّهِ ذي الإِحْسَانِ
أَنتُمْ بِحَوْلِ اللَّهِ أَنصَارٌ لَهُ   في غُرْبَةِ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ
أَنتُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ أَعْلَامُ الْهُدَىٰ   وَعِصَابَةُ التَّوحِيدِ وَالْقُرْآنِ
أَنتُمْ هُدَاةُ النَّاسِ فَاهْدُوهُمْ إلَىٰ   مَافِيهِ مِن رُشْدٍ وَمِن رِضْوَانِ

---

(١) إسكان المضارع هنا ضرورة من أجل الوزن .

هَذَا زَمَانٌ مَن يَكُونُ بدينه … مُتَمَسِّكاً فَكَقَابِضِ النِّيرَان

هَذَا زَمَانٌ قَلَّ فِيهِ الأَمْرُ بِالْـ … ـمَعْرُوفِ وَالتَّغْيِيرُ لِلنُّكْرَان

كَمْ قَدْ رَأَيْنَا سُنَّةً مَطْمُوسَةً … عَصَفَتْ بِهَا الأَهْوَاءُ مُنذُ زَمَان

لَمْ يَنتَصِرْ لِلدِّينِ مِنْ أَحَدٍ وَلَمْ … يَغْضَبْ فَيَا لَلَّهِ لِلإِيمَان

فَتَرَاهُ مَخْذُولاً لَدَيْهِمْ مَالَهُ … مِن نَاصِرٍ يَاقِلَّةَ الأَعْوَان

وَاللَّهِ مَاغَارُوا لِدِينِ نَبِيِّهِمْ … بَلْ لِلْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَان

بَلْ صَارَ جُلُّ النَّاسِ أَعْدَاءً لَهُ … يَاغُرْبَةَ الإِسْلَامِ وَالإِيمَان

أَمَّا النُّفُوسُ فَكَمْ لَهَا من نَاصِرٍ … بِالْمَالِ وَالأَهْلِينَ وَالأَبْدَان

فَهَلُمَّ إِخْوَانِي لِنَحْفَظَ دِينَنَا … مِن زَيْغِ كُلِّ مُحَرِّفٍ فَتَّان

وَهَلُمَّ إِخْوَانِي لِنَنصُرَ دِينَنَا … مِنْ غَيْرِ مَاكَسَلٍ وَغَيْرِ تَوَان

قُومُوا بِنَا إِخْوَانُ نُصْلِحْ كُلَّمَا … قَدْ أَفْسَدَ الْجُهَّالُ فِي الْبُلْدَان

فَالْجَهْلُ قَدْ عَمَّ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا … طُولاً وَعَرْضاً قَاصِياً وَالدَّان

وَدَوَاؤُهُ بَثُّ الْعُلُومِ وَنَشْرُهَا … وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالإِحْسَان

هَذِي وَصِيَّةُ مُشْفِقٍ مِن ذَنبِه … فَادْعُوا لَهُ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَان

وَاللَّهُ يَنصُرُ حِزْبَهُ وَجُنُودَهُ … وَيُذِلُّ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْعُدْوَان

وَاللَّـــهُ يَنصُـــرُ دِيـــنَهُ وَيُعِـــزُّهُ بِإِمَامِـــنَا ذي الْـــبِرِّ وَالإِحْسَـــانِ
أَعْنِـي بِهِ عَبْدَالْعَـزِيـزِ الْمُرْتَـضَـىٰ مَـــنْ قَـــامَ بِالتَّـوحِـــيدِ لِلدَّيَـــانِ
يَـارَبِّ وَفِّـقْـهُ وَكُـن مَـوْلَـــىً لَـــهُ وَاصْـلِحْ[(١)] سَـرِيرَتَـهُ مَـعَ الإِعْـلاَنِ
وَاجْعَلْـهُ مَهْدِياً إِلَـىٰ سُـبُـلِ الْـهُدَىٰ وَاهْـزِمْ بِدَوْلَـتِـهِ أُوْلِـــي الْعُـدْوَانِ
ثُـــمَّ اجْـزِهِ اللَّـــهُمَ خَـيْـراً دَائِـمـاً يَـادَائِـمَ الْمَـعْـرُوفِ وَالإِحْسَـــانِ
فَلَـــهُ عَـلَـيْـــنَـا مِـــنَّـةٌ مَحْمُـــودَةٌ وَالْحَمْـــدُ كُـــلُّ الْحَمْـــدِ لِلْمَـــنَّانِ
فَـاجْـعَـلْ لَـهُ يَارَبِّ أَحْسَـنَ سِيـرَةٍ فِــي نُصْــرَةِ الدِّيــنِ الْعَلِــيِّ الشَّـــانِ
ثُـــمَّ الصَّـلاَةُ عَلَـىٰ النَّـبِـيِّ مُحَمَّـدٍ مَـن جَـاءَ بِالتَّـوحِـيدِ وَالْفُـرْقَـانِ
وَالآلِ ثُـمَّ التَّـابِـعِـيـنَ جَـمِـيـعِـهِـمْ أَهْـلِ الـتُّـقَىٰ وَالْـبِرِّ وَالإِحْسَـانِ

القصيدة الثانية[(*)] : في الغرض نفسه ، غير أنـها خطاب للأبناء ونصح موجه لـهم ليفيقوا من غفلتهم ، ولعلها كانت موجهة لأحد أبنائه .

قال رحمه الله تعالىٰ :

بُـنَيَّ إِلَـىٰ مَـتَىٰ هَـــذَا الـتَّوَانِي وَذَا الإِعْـرَاضُ عَـن سُـبُلِ الـنَّجَاةِ

(١) جعل الشيخ همزة القطع هنا همزة وصل للضرورة ، ولو حذف الواو لتخلص من هـذه الضرورة .

(*) يعتقد بعض الإخوة أن هـذه القصيدة من نظم الشيخ حافظ رحمه الله تعالىٰ ، وهي من =

وَآيَـاتُ الْكِـتَابِ عَلَـيْكَ تُـتْلَىٰ وَتُسْـمِعُكَ الْقَـوَارِعَ وَالْعِظَـاتِ
وَعُمْـرُكَ كُـلَّ يَـوْمٍ فِـي انقِـرَاضٍ وَأَنـتَ عَلَـىٰ وُثُـوقٍ بِالْحَـيَاةِ
فَـيَاغَرَضَ الْحَـوَادِثِ وَالْمَـنَايَا وَيَـاهَدَفَ الدَّوَاهِـي الدَّاهِمَـاتِ
أَفِـقْ مِـن رَقْـدَةِ الْغَفَـلَاتِ وَاقْلِـعْ[1] وَبَـادِرْ وَادَّكِـرْ قَـبْلَ الْفَـوَاتِ
وَلَاتَـغْـرُرْكَ آمَـالٌ طِـوَالٌ وَدَعْ عَـنكَ الْأَمَـانِي الْكَاذِبَـاتِ
وَأَخْلِـصْ تَوبَـةً صِـدْقاً نَصُـوحاً بِهَـا تُمْحَـىٰ جَمِـيعُ السَّـيِّئَـاتِ
فَـإِنَّ الْإِعْـتِذَارَ الْـيَـوْمَ[2] مُجْـدٍ وَلَـيْسَ بِـنَـافِعٍ بَعْـدَ الْمَمَـاتِ

* * *

وَجَانِـبْ إِخْـوَةً لِلسُّـوءِ وَاحْـذَرْ غُـرُورَ الـنَّـفْسِ يَـاابْنَ الْمَكْـرُمَاتِ
وَجَـالِسْ كُـلَّ أَوَّابٍ مُنِيـبٍ كَـرِيمِ الـنَّـفْسِ يَأْمُـرُ بِـالصَّـلَاةِ
وَعَظِّـمْ طَاعَـةَ الـرَّحْمَـٰنِ دَوْمـاً فَطَاعَـتُهُ أَسَـاسُ الصَّـالِحَاتِ
وَبِـالْأَبَـوَيْنِ إِحْسَـاناً وَبِـرّاً كَمَـا نَطَقَـتْ نُصُـوصُ الْبَـيِّنَـاتِ

= نظم الشيخ محمد يقيناً ، ولقد نظم أكثر أبياتها في مسكني بسامطة أيام كنت طالباً بالمعهد العلميّ أوائل التسعينيّات الهجرية ، ونَفَس القصيدتين واحد للمتأمّل .

(١) جعل الشيخ همزة القطع هنا همزة وصل للضرورة ، ولو حذف حرف الواو لكان أولىٰ .

(٢) جعل الشيخ همزة الوصل هنا همزة قطع للضرورة .

وَلِـلْأُمِّ الْحَـنُونِ بُـنَيَّ فَـاخْفِضْ جَنَاحَ الذُّلِّ تَظْفَرْ بِالنَّجَاةِ
وَلِلْعُلَمَاءِ وَقِّرْ يَابُنَيَّا(1) فَعِلْمُهُمُ يُنِيرُ الْكَائِنَاتِ
فَتِلْكَ وَصِيَّتِي نُصْحاً وَعَطْفاً تُضِيءُ الدَّرْبَ تَدْعُو لِلصِّلَاتِ
وَأَسْأَلُ خَالِقِي لُطْفاً وَبِرّاً وَتَوْفِيقاً يَرُدُّ الشَّارِدَاتِ
وَأَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ نَبِيٍّ شَفِيعِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْمُعْضِلَاتِ

والمتأمِّل في هاتين القصيدتين يجدهما نظماً علميّاً علىٰ طريقة الفقهاء بعيداً عن التصوير الفني والأخيلة .

والشيخ رحمه الله - كما قال لي - لم يوظِّف موهبته في النظم ، فلم ينظم في حياته إلا هاتين القصيدتين ، وبعض المقطوعات اليسيرة ، وقال لي كذلك : إن الشعر مثل السيف إذا لم تصقله أكله الصدأ .

والموهبة الشعرية - كما قال - تحتاج إلىٰ صقل ومران مستمرَّين ، وقراءة لدواوين فحول الشعراء ، وحفظ مايستطاع منها ، مع مطالعة كتب النقد .

مرضه ووفاته :

بعد عمر مديد قضىٰ الكثير منه في التعليم والدعوة والعبادة ؛ انتابته أمراض أقعدته في منزله ، وقبل فجر يوم الاثنين ١٤٢١/٥/١٤هـ وافاه الأجل المحتوم في منزله بمدينة سامطة .

---

(١) الألف هنا للإطلاق .

نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته ، ويغفر له ، ويعلي منزلته ، ويجزيه عما قدم خير الجزاء ، ويخلفه في أهله وأبنائه ، ويبارك فيهم .

وقد رثاه عدد من طلابه ومحبيه ، وسأقتصر على نماذج من ثلاث مراث :

أولها : مرثية أستاذنا الكبير الشاعر الشيخ « إبراهيم بن حسن الشَّعَبِيّ » حفظه الله تعالى وعنوانها « عَبْرَةٌ وَرِثَاء » قال في مطلعها :

فُجِعَ النَّاسُ بِابْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَهْ ... الْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ وَلُبُّ الذَّخِيرَهْ

ومنها :

يَاأَخَا « حَافِظٍ » سَمَوْتَ عَنِ الْحِقْـ ... ـدِ وَبَرَّزْتَ فِي صَفَاءِ السَّرِيرَهْ

كُنتَ فِينَا مِيزَانَ فَهْمِ « اعْتِقَادٍ » ... تَسْبُرُ الْغَوْرَ فِي الْقَضَايَا الْمُثِيرَهْ

يَاأَبَا « حَافِظٍ » وَكَمْ أَنتَ غَالٍ ... يَوْمَ نَنْعَىٰ رُوَّادَ هَـٰذِي الْمَسِيرَهْ

وختمها بقوله :

وَأُعِيدُ الْقَرِيظَ ثَرّاً وَتَأْبِيـ ... ـناً لِلَيْثٍ فَذٍّ عَهِدْنَا زَئِيرَهْ

عَاشَ فِينَا مِثَالَ عِلْمٍ وَفَضْلٍ ... وَأَطَالَ الْجُلُوسَ فَوْقَ الْحَصِيرَهْ

قَانِعاً بِالْكَفَافِ لَايَطَّبِيهِ(١) ... جَمْعُ مَالٍ أَوْ عَائِدَاتٌ وَفِيرَهْ

(١) لايطَّبيه : لايدعوه ولايستميله .

راجع « أساس البلاغة » للزمخشريّ : ص (٢٧٦- ط ب ي) .

رَتَّــلَ الذِّكْــرَ خَاشِــعاً بِخُضُــورٍ زَانَــهُ الْخَــوْفُ وَالدُّمُــوعُ الْغَزِيــرَهْ

رَبِّ رُحْمَــاكَ كَــمْ أَرَاقَ دُمُوعــاً وَجَــلاً مِـنكَ لَا لِأَجْلِ الْفَطِيــرَهْ

فَاجْــزِهِ يَارَبَّــاهُ جَــنَّاتِ عَــدْنٍ وَأَجِــرْهُ ـ تَــكَــرُّماً ـ قَمْطَرِيــرَهْ

والثانـية : لابـنه الأسـتاذ عبدالصـمد وهـي مرثية مؤثرة بعنوان « بِكَفِّيَ أَدْنَيْتُ الْحَبِيْبَ مِنَ الثَّرَىٰ » قال فيها :

دُمُوعُ الْأَسَىٰ بَيْنَ الْمَحَاجِرِ وَالنَّحْرِ تُغَالِبُني مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَاأَدْرِي

يَقُولُونَ : لَاتَجْزَعْ وَفِي النَّفْسِ لَوْعَةٌ يُعَرْبِدُ أَقسَاها عَلَىٰ وَاهِنِ الصَّدْرِ

وفيها يقول :

بِكَفِّيَ أَدْنَيْتُ الْحَبِيبَ مِنَ الثَّرَىٰ وَأَسْلَمْتُهُ طَوْعاً إِلَىٰ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ

وَقَدْ عَزَّ ـ لَوْلَا شِرْعَةُ اللَّه ـ مَاجَرَىٰ فَلِلَّــهِ مَاأَمْضَــىٰ وَلِلَّــهِ مَايَجْــرِي

وَلَمَّــا أُهِــيلَ الــتُّرْبُ وَالْجَمْــعُ خُشَّــعٌ تَذَكَّرتُ «سَعْداً»(١) فَانْحَنَىٰ شَامِخُ الصَّبْرِ

ويصوِّر خشوع والده في صلاته رحمه الله تعالىٰ وسرعة دمعته فيقول :

---

(١) هو سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وهو يشير بهـذا إلىٰ حديث ضمة القبر علىٰ سعد وهو حديث صحيح أخرجه ابن حبان في صحيحه : كما في الإحسان برقم (٣١١٢) من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن صفية عن عائشة عن النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم قال : « لِلْقَبْرِ ضَغْطَةٌ لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذ » . وللحديث طرق كثيرة وشواهد في مسند الإمام أحمد وغيره لايتسع هـذا الموضع لتتبعها .

أَبَيَّ لَقَدْ أَبْكَيْتَ حَيّاً وَمَيِّتاً ... وَمَاقَافُ إلاَّ شَاهِدٌ مَطْلَعَ الْفَجْرِ
﴿ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم ﴾[1] فالنفوس ظَعَائِنٌ ... وَصَوْتُكَ حَادِيهَا إِلَىٰ مَشْهَدِ الْحَشْرِ
فَلِلَّه ذَاكَ الصَّوتُ كَمْ شَنَّفَ النُّهَىٰ ... وَكَمْ أَيْقَظَ الْغَافِي إِلَىٰ سَاعَةِ الصِّفْرِ
وَلِلَّهِ رَمْزُ الطُّهْرِ وَالزُّهْدِ وَالتُّقَىٰ ... وَرِفْدُ ذَوِي الْحَاجَاتِ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ

* * *

والثالثة: لكاتب هـٰذه الأسطر، وهي بعنوان «تَهَاوَتْ صُرُوحُ الْعِلْمِ»[2] ومطلعها:

تَهَاوَتْ صُرُوحُ الْعِلْمِ من كُلِّ جَانِبِ ... وَفُقْدَانُهُمْ - لَارَيْبَ - شَرُّ النَّوَائِبِ
فَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَصْدُمُ السَّمْعَ مُخْبِرٌ ... بِفَقْدِ شِهَابٍ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ ثَاقِبِ
وَأَصْبَحَتِ الْأَسْمَاعُ لِلرُّعْبِ مَعْبَراً ... فَلَيْسَ عَلَيْهَا - وَيْحَهَا - من مُرَاقِبِ
وَمَابَالُ هَـٰذَا الْعَصْرِ يَالَهْفَ أُمَّتِي ... بِهِ انْعَقَدَتْ سُحْبُ الْأَسَىٰ وَالْمَصَائِبِ
إِذَا رَحَلَ الْأَعْلَامُ عَنَّا فَمَن لَنَا ... يُبَصِّرُنَا فِي دَرْبِنَا بِالْمَثَالِبِ ؟
فَبِالْأَمْسِ وَدَّعْنَا شُيُوخاً أَئِمَّةً ... هُمُ فِي سَمَاءِ الْعِلْمِ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ
وَهَا نَحْنُ - يَارَبَّاهُ - نَفْقِدُ عَالِماً ... لَهُ، عِندَ مَن سَامَاهُ[3] أَسْمَىٰ الْمَرَاتِبِ

---

(١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة الحج: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ ﴾.

(٢) نشرت في جريدة عكاظ: العدد ١٢٤١٩، ولـٰكنها طبعت بصورة مشوهة مشحونة بالأخطاء الفاحشة، مما جعلني أقرر عدم نشر شيء في الصحف.

(٣) ساماه: بارزه ونافسه.

عَنَيْتُ - وَهَلْ يَخْفَىٰ ؟ - أَبَا حَافظ الَّذي … تَنَاهَتْ إِلَيْهِ سَامِقَاتُ الْمَنَاقِب (1)

لَقَدْ كَانَ فِي عِلْمِ الْعَقِيدَة فَارِساً … فَلَيْسَ لَهُ فِي قُطْرِنَا مِنْ مُقَارِب

غَوَامِضُ هَـٰذَا الْعِلْمِ غَابَتْ بِفَقْدِه … فَمَن بَعْدَهُ يَجْلُو عَوِيصَ الْغَرَائِب ؟

ومنها :

خَطِيبٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ غَيْرُ مُتَعْتِعٍ … وَعَنْهُ الْبَيَانُ الْعَذْبُ لَيْسَ بِعَازِب (2)

إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ يَعْذُبُ صَوْتُهُ … وَلَيْسَ خُشُوعُ الْقَلْبِ عَنْهُ بِغَائِب

وَتَخْنُقُهُ عِندَ التِّلَاوَة عَبْرَةٌ … وَيَخْشَىٰ دَوَاماً من شُرُورِ الْعَوَاقِب

بَدِيهَتُهُ عِندَ الْجَوَابِ سَرِيعَةٌ … وَفِيهِ صُدُودٌ عَنْ إِسَاءَة عَائِب

وَيَكْرَهُ تَدْبِيجَ الْمَدِيحِ وَرُبَّمَا … يُبَادِرُ بِالْإِنكَارِ خَوْفَ الْمَعَاطِب

يَغِيبُ إِذَا مَاسَرَّحَ الطَّرْفَ قَارِئاً … كِتَاباً فَلَا يَدْرِي بِآتٍ وَذَاهِب

وختمتها بقولي :

تَوَاضُعُهُ لَايُسْتَطَاعُ بُلُوغُهُ … وَلَمْ يَسْتَجِبْ يَوْماً لِدُنْيَا الرَّغَائِب

يَحُوطُكَ بِالتَّقْدِيرِ إِمَّا رَأَيْتَهُ … وَلَيْسَ عَلَىٰ تَقْصِيرِنَا بِالْمُعَاتِب

أَيَا رَبِّ فَارْحَمْهُ، وَأَعْلِ مَقَامَهُ … وَأَنزِلْهُ فِي الْفِرْدَوْسِ يَاخَيْرَ وَاهِب

---

(1) سامقات : من « سَمَق » إذا علا وارتفع .

(2) بعازب : غائب وبعيد عنه .

وَوَفِّقْ بَنِيهِ الْأَكْرَمِينَ لِيَقْتَدُوا   بِهِ فِي سُلُوكِ نَيِّرِ النَّهْجِ لَاحِبِ[1]

وَأَصْلِحْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَرُدَّهُمْ   إِلَيْكَ وَجَنِّبْهُمْ شُرُورَ الْمَصَائِبِ

رحم الله شيخنا وغفر له وأعلى منزلته في الصابرين ، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته .

---

(١) لاحب : واضح .

وكتبه أسير خطاياه وذنوبه

عبدالله بن محمد « سفيان » الحكميّ

ضحى الجمعة ١٤٢٤/٣/٨هـ

التاريخ ٢٤/ ١١/ ١٤٠٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب السماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله وتولاه بتوفيقه ورعايته آمين.

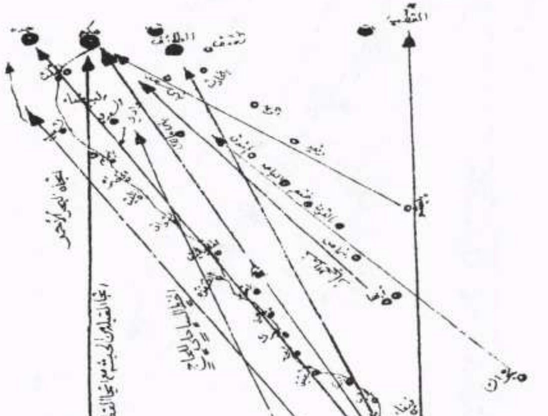
صاحب السماحة لا يخفى عليكم أن المسجد له أهميته التي لا ينبغي لعبد يؤمن بالله تعالى أن يتساهل فيها. وقد لاحظت أخيراً أن وضع مساجد المنطقة الجنوبية منطقة جيزان وتهامة عسير بصفة عامة غير لائق ولا يجوز لنا أن نسكت على ما نشاهده من هذا الوضع، ذلك أن أهل المنطقة قد علق بأذهانهم من قديم وإلى الآن أن القبلة هي اتجاه القطب الشمالي سواء لا انحراف فيها. والواقع الذي لا ينبغي أن يتجاهلوه هو أن اتجاه القبلة في المنطقة ينحرف كثيراً عن القطب إلى المغرب بيانات تعتمد بالأفق الغربي الشمالي في الوسط ما بين الغرب وجهة القطب. وقد أبديت رأيي للإخوان ولكن ـ وللأسف ـ حصل عندهم استنكار شديد ولم يحصل منهم غير النفور والتهرب من الحقيقة والواقع واتهمني بعض الإخوان بالجهل والجنون. وقد وصلتكم من بعض الإخوان بهذا الصدد عدة من الرسائل اطلعت على بعضها وعلى إجابات هيئة كبار العلماء بالرئاسة لديكم. والعلماء حفظهم الله يجيبون حسب السؤال غير أنهم لا يعلمون منطقتنا الجنوبية وجهة القبلة من هنالك. والحديث الذي يستدل به الإخوان «ما بين المشرق والمغرب قبلة» لا ينطبق على أي بلد فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث وهو بالمدينة وقبلة أهل المدينة تقع في الوسط ما بين المشرق والمغرب. وكذلك قبلة أهل الشام أما جنوب المملكة واليمن فقبلتهم إذا أردنا القياس على الحديث فهي الجهة ما بين القطب والمغرب قبلة. فكما أن المغرب ليس بالقبلة الجنوبية فالقطب كذلك ليس بقبلة ولكن القبلة بينهما. كما أن قبلة المدينة بين المشرق والمغرب سواء ولا قبلة لهم في المغرب والمشرق.

ونخلص من هذا أننا نحتاج لتفاهم مع الإخوان في الموضوع وهو كما قلت ليس بالأمر الهين فكلهم يعرف أن القبلة استقبالها شرط في صحة الصلاة، وأن وضع المساجد الحالي خطأ ٩٠٪ بالمنطقة ومحاولة إقناع العامة وبلدي أسهم الدخول من المشايخ عندنا ـ وللأسف ـ في غاية الصعوبة ويحتاج الأمر لجهة فالمطلوب من سماحتكم هو اقتراح خروج لجنة من أهل الدراية بهذا الشأن كونه يتعلق كثيراً بجغرافية الأرض وتحديد جهة كل بلد من القبلة. فوسائل الإيضاح ولله الحمد متوفرة الآن الخرائط التي ترسم الجزيرة العربية توضح كل جهة من القبلة. وكذلك الآلة كاشفة البوصلة وعندنا عدة مساجد بنيت حديثاً على خبرة تامة توجد ما للقبلة على المطلوب. والأمر سهل ويسير ولا عسر فيه ولا مشقة ولله الحمد إنما المشكلة هي مشكلة التقليد الأعمى والتعصب للعادة والتمسك بها والحرص على البقاء عليها..

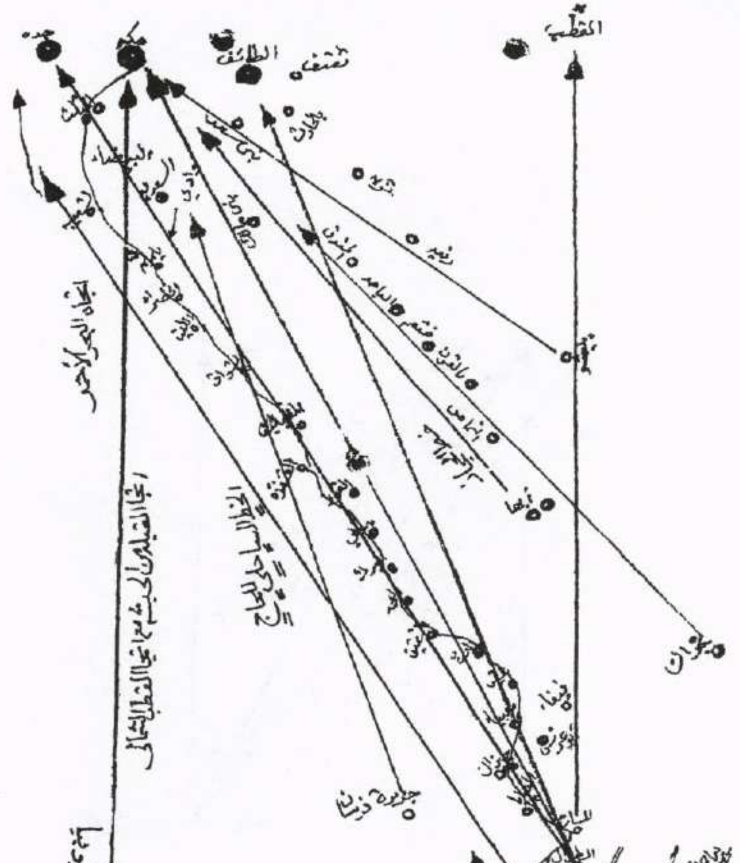
هذا ما أردت بيانه لسماحتكم وقد أيست من تجاوب الإخوان [illegible] إذا وجد ما رأيناه...

ـ أخوكم محمد [illegible] علي حكمي

صورة من مسودة الخطاب الذي بعث به المؤلف إلى سماحة العلاّمة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله تعالى في شأن القبلة، وهو بخطه وعليه توقيعه، وفي الأعلى تاريخ الرسالة.



صـورة لخارطـة الجهـة الصـحيحة للقـبلة في المنطقة الجنوبية بأسرها ، رسـمها الشيخ رحمه الله تعـالـى بيده ، ويظهر عليها اسمه وتوقيعه ، وقد وضعنا خلف الخارطة صورة لانفراج البحر الأحمر الدال على ميل القبلة إلى جهة الغرب تدريجاً كلما اتجهنا شمالاً .



صورة مكبرة للخارطة التي رسمها الشيخ رحمه الله تعالى .

سلسلة الرسائل النافعة

﴿١﴾

مُقَدِّمَةٌ مُهِمَّةٌ

فِي تَحْقِيقِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ

بقلم

فضيلة الشيخ محمد بن أحمد الحَكَمِيّ

المتوفّى رحمه الله سنة ١٤٢١هـ

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ ، والصلاة والسلام علىٰ إمام الموحدين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعد : فهٰذه مقدمة موجزة في تحقيق كلمة التوحيد التي خلق الله من أجلها الثقلين إنسهم وجنهم ، ورتّب علىٰ مقتضاها الجزاء ، فأقول وبالله التوفيق مبتدئاً باشتقاقها ، ختتماً بنواقضها عافانا الله بمنه وكرمه من ذلك .

• اشتقاق كلمة التوحيد :

اشتقاق هٰذه الكلمة من وحدتُّه توحيداً ؛ إذا أفردتُّه بالحب والخضوع والذل والانقياد ، واعتقدتُّه واحداً في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، وملكه وإلٰهيته ، وربوبيته ، وحكمه ، وقدره ، وشرعه .

• تعريفها :

هو إثبات أن الله تعالىٰ واحد في ملكه وأفعاله لاشريك له ، واحد في ذاته وصفاته لانظير له ، واحد في إلٰهيته وعبوديته لاندَّ له ؛ قال تعالىٰ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾(1) .

---

(1) الآية (163) من سورة البقرة .

• مقتضاها :

عدم شريك لله في ربوبيته وملكه وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه وقدره وحكمه .

• واضعها :

هو رب العزة جلّ وعلا على ألسنة رسله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ... ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2] .

• مصدرها :

هو العبد باعتقاده وقوله وعمله ؛ فلا يذل ولايخضع إلا لله تعالى ولايلجأ ولايرغب إلا إليه ، ولايرهب إلا منه .

• أركانها :

نفي وإثبات . فمن نفى بلا إثبات فهو ملحد جاحد ، ومن أثبت بلا نفي فهو مشرك مندِّد[3] ، ومن جمع بينهما فهو مسلم موحد .

---

(١) الآية (٣٦) من سورة النحل .

(٢) الآية (١٦٣) من سورة البقرة .

(٣) أي جاعل لله نداً ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

• أقسامها :

قسمان : قسم من جهة القصد والطلب ، وهو توحيد الألوهية والعبادة وقسم من ناحية العلم والاعتقاد ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات[1] .

• شروطها :

شروطها سبعة هي العلم ، واليقين ، والإخلاص ، والصدق ، والمحبة والإنقياد ، والقبول[2] ، وهي منافية لأضدادها من الجهل والشك وعدم التسليم ونحوها .

• غايتها :

سعادة العبد وفوزه برضا رب العزة وكرامته ، وجواره في جنة الخلد والنجاة من غضبه تعالىٰ وانتقامه .

---

(١) هـذا التقسيم يشتمل علىٰ التقسيم الشائع : توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، وبعضهم يزيد قسماً رابعاً وهو توحيد الاتباع كما في رسالة «السراج المنير» للعلاّمة تقيّ الدين الهلاليّ : ص (٩٢-٩٣) وهو داخل في التقسيم الذي ذكره المصنف .

(٢) جمعها العلاّمة الشيخ حافظ بن أحمد الحكميّ في أرجوزته «سلم الوصول» بقوله :

وَبِشُرُوطِ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقّاً وَرَدَتْ
فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا ... بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ ... وَالِانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ
وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّهْ ... وَفَّقَكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّهْ

راجع «معارج القبول بشرح سلم الوصول» (٢/٤١٨-٤١٩ - طبعة دار ابن القيم) . =

•نواقضها :

نواقض هـٰذه الكلمة كثيـرة أبرزها :

١ - الإيمـان بالطـاغوت أيـّاً كـان نوعـه ، واتخـاذ شـريعة غيـر شريعة السماء أو رسالة غيـر رسالة السماء .

٢ - بغـض الرسـول صـلّىٰ الله عليه وسلّم ، وبغض ماجاء به ، أو الرغبة عما جاء به .

٣ - الاستخفاف به صلوات الله وسلامه عليه .

٤ - الاستخفاف بالشريعة التي جاء بـها .

٥ - تكذيبه صلّىٰ الله عليه وسلّم ، أو تكذيب بعض ماجاء به .

٦ - الفرح بانحسار شريعته .

٧ - البغض لظهورها .

٨ - تسـميتها بغـيـر ماسـمّىٰ الله تعـالـىٰ ، أو دسُّ شـريعة فيها لـم يأذن الله بـها .

= وزاد بعض أهل العلم شرطاً ثامناً ، نظمه في قوله :

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنكَ بِمَا ... سِوَىٰ الْإِلَـٰهِ مِنَ الْأَنْدَادِ قَدْ أُلِهَا

وهـٰذا الشرط من لوازم الشروط السابقة ومترتب عليها .

٩- التحاكم إلى غير ماأنزل الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ... ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(٣) .

١٠- ابتغاء العزة والرفعة والتقدم من غير دين الإسلام ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ... ﴾(٤) .

تمت بحمد الله تعالى

---

(١) الآية (٦٥) من سورة النساء .

(٢) الآية (٢١) من سورة الشورى .

(٣) الآية (٤٤) من سورة المائدة .

(٤) الآية (١٠) من سورة فاطر .

سلسلة الرسائل النافعة

﴿٢﴾

مَعْنَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَأَيُّهُمَا أَعَمُّ وَأَشْمَلُ ؟

بقلم

فضيلة الشيخ محمد بن أحمد الحَكَمِيّ

المتوفَّى رحمه الله سنة ١٤٢١هـ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمدلله نحمده ونستعينه ونستلهمه الرشد ونستمد منه الصواب .

وبعد : فقد سألت حفظك الله عن الإسلام والإيمان : أيّهما أعمّ وأشمل ؟

والجواب : إن هـٰـذه المسألة هي أكبر مسألة كثر فيها الخصام ، وطال فيها النزاع قديماً وحديثاً وألفت فيها المجلدات بين رادّ ومردود عليه وأول ماحدث في ذالك بدعة الخوارج في عصر الصحابة رضي الله عنهم ، ثم تبعهم على ذالك طوائف المعتزلة ، ثم حدثت بدعة الجهمية المرجئة ، ولاحاجة بنا في هـٰـذا المقام إلى ذكر النزاع ، والبحث الذي طال بين علماء السنة من أهل الحديث وبين تلك الطوائف على اختلاف مذاهبها فإن ذلك يستدعي أسفاراً ، ولست من فرسان تلك البحوث (١) ، ولـٰكنني أحب أن أكتب في هـٰـذه الوريقات خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة ، على ضوء أدلة الكتاب والسنة ، مما يتضح به الحق للسالك وينير الطريق أمامه ، فأقول وبالله التوفيق :

الإسلام والإيمان قد فُسِّر كل منهما بما فُسِّر به الآخر ، وقد فُسِّر الاسلام بالأركان الخمسة وهي دعائمه التي بُني عليها ، كما فُسِّر الإيمان

(١) هـٰـذا يدل على تواضع الشيخ رحمه الله تعالى ، مع أنه من العلماء المشهود لهم ؛ لاسيما في العقائد والفِرَق فهو فيها بحر بعيد الغور .

بأركانه الستة ، ولكن حيث فُسِّر الإسلام بالأعمال الظاهرة فهو مشروط بالإيمان الذي هو تصديق القلب ، وإذعانه وتسليمه وانقياده ، وإلا فمجرد الأعمال الظاهرة بدون عمل القلب وتصديقه نفاق ، والعياذ بالله .

وكذلك حيث فُسِّر الإيمان بأركانه الستة فهو مستلزم لانقياد جميع الجوارح نطقاً وعملاً ، بِذُلٍّ وخضوع وتسليم .

وتوضيح القول في هذا البحث ، أنه كلما أطلق الاسم منفرداً دل على الإيمان المطلق ودخل فيه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ... ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ... ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ... ﴾[4] .

---

(١) الآية (٣) من سورة المائدة .

(٢) الآيتان (١٨) و(١٩) من سورة آل عمران عليهم السلام .

(٣) الآية (١٢٥) من سورة الأنعام .

(٤) الآية (٢٢) من سورة الزمر .

وقال تعالى عن خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾[1] وقال عن يوسف ـ عليه السلام ـ : ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ... ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[5] وقال تعالى عن نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[7] وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا

(١) الآية (١٢٨) من سورة البقرة .
(٢) الآية (١٠١) من سورة يوسف عليه السلام .
(٣) الآية (١٣٢) من سورة البقرة .
(٤) الآية (٢٠) من سورة آل عمران عليهم السلام .
(٥) الآية (٨٥) من سورة آل عمران عليهم السلام .
(٦) الآية (٧٢) من سورة يونس عليه السلام .
(٧) الآية (٨٤) من سورة يونس عليه السلام .

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] وقال عن سحرة فرعون : ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[2] وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[3] وقال تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[4]

والآيات في هـٰذا الباب كثيرة ، فالإسلام في هـٰذه الآيات دال علىٰ الإيمان المطلق وداخل فيه ، وذٰلك هو الدين الذي ارتضىٰ الله لعباده .

وكذلك الإيمان إذا أطلق منفرداً أو مقروناً بالعمل الصالح ، أو بالبر والتقوىٰ دخل فيه الإسلام وصار مدلولهما واحداً ، كقوله تعالىٰ : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾[5] وقوله تعالىٰ : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

(١) الآية (٨٩) من سورة النحل .

(٢) الآية (١٢٦) من سورة الأعراف .

(٣) الآية (١١١) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٥٢) من سورة آل عمران عليهم السلام .

(٥) الآيات (١–٥) من سورة البقرة .

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ... ﴾[1] وقولـه تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[3].

وفي الصحيحين : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال لوفد عبدالقيس : « آمركم بأربع : الإيمان بالله وحده وهل تدرون ماالإيمان بالله ؟ شهادة أن لاإلـه إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس[4] »وقال صلّى الله عليه

(١) الآية (١٧٧) من سورة البقرة .

(٢) الآيات (٢-٤) من سورة الأنفال .

(٣) الآيات (١-٤) من سورة المؤمنون .

(٤) حديث وفد عبدالقيس حديث طويل أخرجه البخاريّ ـ بسياق أتم ـ في كتاب الإيمان من صحيحه : باب أداء الخمس من الإيمان (١/١٥٧) برقم (٥٣) من طريق شعبة عن أبي جمرة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وأخرجه في مواضع أخرى من صحيحه : في كتاب أخبار الآحاد برقم (٧٢٦٦) من =

وسلّم لرجل : « أسلم تسلم ، قال : وماالإسلام ؟ قال : يُسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك ، قال : فأيّ الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان ، قال : فما الإيمان ؟ قال : تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت ، قال : فأيّ الإيمان أفضل ؟ قال : الهجرة ، قال : وماالهجرة ؟ قال : أن تهجر السوء ، قال : فأيّ الهجرة أفضل ؟ قال : الجهاد قال : وماالجهاد ؟ قال أن تجاهد أو قال : تقاتل الكفار إذ لقيتهم ولاتغْلُل ولاتَجْبُنْ »(1) وفي الصحيحين : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن

= طريق شعبة به نحوه .

وأخرجه كذلك : في كتاب العلم برقم (٨٧) وفي كتاب مواقيت الصلاة برقم (٥٢٣) وفي كتاب الزكاة برقم (١٣٩٨) وفي كتاب فرض الخمس برقم(٣٠٩٥) وفي كتاب المناقب برقم(٣٥١٠) وفي كتاب المغازي برقم(٤٣٦٨) و(٤٣٦٩) وفي كتاب الأدب برقم (٦١٧٦) وفي كتاب أخبار الآحاد برقم (٧٢٦٦) وفي كتاب التوحيد برقم (٧٥٥٦) .

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٤٦/١-٤٧) برقم (١٧) (٢٣) (٢٥) كلاهما من طرق عن أبي جمرة به .

وأخرجه مسلم في كتاب الأشربة (١٥٧٩/٣-١٥٨٠) برقم (١٧) (٤٠) (٤١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مقتصراً على مايتعلق بالأشربة .

(١) أخرجه - بهذا السياق - البيهقيّ في « الجامع لشعب الإيمان » (١٤٧/١-١٤٩) برقم (٢٢) من طريق أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه .

وفي إسناده مجهول ، غير أن الحديث ورد من طريق أبي قلابة عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه .

أخرجه معمر في « الجامع » المطبوع في آخر مصنف عبدالرزاق (١٢٧/١١) برقم (٢٠١٠٧) عن أيوب عن أبي قلابة به ، لكن ليس فيه « أسلم تسلم » . =

النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم قال : « الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة : أفضلها قول لاإلـٰـه إلا الله وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »(1) وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم قال : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولايشرب الخمرة حين يشربها وهو مؤمن ، ولايسرق السارق حين يسرق

= ومن طريق معمر : أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/٢٥١-٢٥٢) برقم (١٧٠٢٧) بواسطة عبدالرزاق عنه .

وعن عبدالرزاق : أخرجه عبد بن حميد ـ كما في « المنتخب » ـ ص (١٢٤-١٢٥) برقم (٣٠١) وأورده الهيثميّ في « المجمع » (١/٥٩) و(٣/٢٠٧) وقال : رواه أحمد والطبرانيّ في « الكبير » بنحوه ورجاله ثقات .

ورجال إسناد الحديث ـ كما قال الهيثميّ ـ ثقات غير أن أبا قلابة ـ وهو عبدالله بن زيد الجرميّ ـ لم أجد مايدل علىٰ ثبوت سماعه من عمرو بن عبسة ، وهو وإن كان ثقة من رجال الجماعة إلا أنه كثير الإرسال كما في « التقريب » : ص (٣٦١) ت (٣٣٣٣) .

وقصارىٰ القول فإن الحديث يتقوّىٰ بهـٰذين الطريقين ، ولكل فقرة شواهد كثيرة في الصحيحين وغيرهما .

(١) أخرجه ـ بهـٰذا اللفظ ـ مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه (١/٦٣) برقم (٣٥) و(٥٨) من طريق سهيل عن عبدالله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وأخرجه البخاريّ في كتاب الإيمان من صحيحه (١/٥١) برقم (٩) من طريق سليمان ابن بلال عن عبدالله بن دينار به بلفظ : « الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » .

وأخرجه مسلم برقم (٣٥) (٥٧) من طريق سليمان به مثله .

وقد ذكر ابن حبان في صحيحه (١/٣٨٦) أن الشك في أحد العددين من سهيل بن أبي =

وهو مؤمن »[1]

قال أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبليّ رحمهم الله : « فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمّىٰ الإيمان لما انتفىٰ اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها ، لأن الاسم لاينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمىٰ أو واجباته ، أما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام ، وسؤاله عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم بينهما وإدخاله الأعمال في مسمّىٰ الإسلام دون مسمّىٰ الإيمان ؛ فإنه يتضح بتقرير أصل وهو : أن من الأسماء مايكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً علىٰ بعض تلك المسميات والاسم المقرون به دال علىٰ باقيها وهذا كاسم الفقير والمسكين إذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج ، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين علىٰ بعض أنواع ذوي الحاجات ، والآخر علىٰ باقيها فهكذا اسم الإسلام والإيمان : إذا أُفرِد أحدهما دخل فيه الآخر ودل

= صالح ، ووافقه البيهقيّ في « الجامع لشعب الإيمان » (١٠٠/١) ورجح بعضهم الأقل لعدم الشك ، أو لأنه المتيقن .

راجع « الفتح » (٥٢/١) .

(١) أخرجه البخاريّ في كتاب المظالم من صحيحه (١١٩/٥) برقم (٢٤٧٥) وفي كتاب الأشربة (٣٠/١٠) برقم (٥٥٧٨) وفي كتاب الحدود (٥٨/١٢-٥٩ و١١٤) الحديثان (٦٧٧٢) و(٦٨١٠) .

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٧٦/١-٧٧) برقم (٥٧) .

كلاهما من طرق عدّة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

بانفـراده علىٰ مـايدل عليه الآخر بانفراده ، فإذا قُرِن بينهما دل أحدهما علىٰ بعض مايدل عليه بانفراده ، ودل الآخر علىٰ الباقي[1] » .

وخــلاصة ماتقدم من هـٰذه النصوص - وفيها الكفاية - أن الإيـمان أعم مـن الإســلام مـن جهـة نفســه وأخـص مـن جهة أهله وأن الإسلام أعم من الإيـمـان مـن جهـة أهلـه ، وأخـص من جهة نفسه كما أن الإحسان أعم من الإيـمـان مـن جهـة نفسه وأخص من جهة أهله ، وهـٰذا هو تفصيل الجواب عما قصده السائل .

وذالـك ماجـرىٰ علـيه المحققـون من أهل السنة والجماعة وعليه تدل عامة نصـوص الكـتاب والسنة فيصح أن يقال كل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمـناً ٱلإيـمـان الكامل ، وعلىٰ هـٰذا يصح نفي الإيـمان المطلق عن مرتكب الكبـيـرة ولا يصـح نفـي الإسلام عنه ، كما لايصح نفي مطلق الإيـمان عنه ولايصـح أيضـاً أن يقـال مسـلم لمـن لاإيـمـان له بالكلـية ، فمن لايؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت لايسمىٰ مؤمناً ولامسلماً ، وذلك أن الإسلام جـزء مـن الإيـمان وداخل فيه ، فالإيـمان أعم وأشـمل من حيث هو ؛ لأنه اعتقاد وقول وعمل ، اعتقاد القلب ، وقول اللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح .

إذن ، فهـو يعـم الإسلام ويسـتلزمه ويدل عليه عند الإطلاق فلا يصح أن يسمّىٰ مسلماً من ليس في قلبه مثقال ذرة من إيـمان .

---

(١) « جامع العلوم والحكم » (١/٧٨-٧٩) ط : دار ابن الجوزيّ .

أمـا قولـه تعـالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ... ﴾ [1] الآية - فتفسير هـٰذه الآية عند جمهور المفسرين من أهل السنة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ أنـها نزلت في أعراب كانوا مسلمين في الظاهر وليسوا منافقين، بل معهم من الإيـمـان مايصح به إسلامهم وإن كان إيـماناً ضعيفاً ولَمَّا يتمكن من قلوبهم ولـهـٰذا قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] ثم قـال تعـالىٰ في حقهـم : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [3] .

وهـٰذا أقرب التفسيرين وأليق بسياق الآيات [4]، وقال آخرون - ومنهم الإمام البخاريّ - : إن إسلام الأعراب المذكورين في هـٰذه الآيات ليس علىٰ الحقيقة إنـما استسلموا خوف القتل [5]، والله أعلم بأسرار كتابه .

وعلىٰ كل حال لايصح إثبات الإسلام لمن لاإيمان له، وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم في حق جار السوء : « والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، والله

(١) و(٢) الآية (١٤) من سورة الحجرات .

(٣) الآية (١٧) من سورة الحجرات .

(٤) و(٥) راجع تفسير ابن كثير : ص (١٣٨٣) ط : الرشد .

لايؤمن ، قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذي لايأمن جاره بوائقه[(١)] »فنفي الإيمان هـٰهنا كنفيه عن الزاني حين يزني وشارب الخمرة حين يشربها ، مع أنه لم يخرج بذلك من مطلق الإيمان الذي لايصح الإسلام إلا به ، وفرق بين نفي الإيمان المطلق ، ونفي مطلق الإيمان ، فنفي الأول لايخرج به العبد من الملة ، وهو الذي يتجه عليه تفسير آيات الأعراب ، ونفي الثاني يخرج من الملة التي هي دين الإسلام ، فالرسول صلىٰ الله عليه وسلم حينما نفىٰ الإيمان عمن لايأمن جاره بوائقه ، وعن الزاني حين يزني إنما نفىٰ الإيمان المطلق ولم ينف مطلق الإيمان ، وعلىٰ هـٰذا فكلما وجد الإيمان وجد الإسلام وليس كلما وجد الإسلام وجد الإيمان المطلق ، بل يوجد مطلق الإيمان الذي إن خلي الإسلام منه كان نفاقاً .

ولنختم البحث بضرب مثال يتضح به - إن شاء الله تعالىٰ - الجواب وهو : أن مجموع الإسلام والإيمان والإحسان هو الدين الذي ارتضىٰ الله لعباده ، وهو الذي لايقبل الله من أحد ديناً غيره ؛ مثله كشجرة ثابتة : أصلها هو الإيمان وفروعها وأغصانها وثمرتها هو الإسلام ، والإحسان يمثل

(١) أخرجه-بهـٰذا السياق-البخاريّ في كتاب الأدب من صحيحه : باب إثم من لايأمن جاره بوائقه ، برقم(٦٠١٦) من حديث أبي شريح الخزاعيّ رضي الله عنه ، وبنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أخرجه مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه برقم(٤٦) (٧٣) .

شكلها وهيكلها وحسن جمالها بجميع ماحتوت عليه من فروع وأغصان وثمار يانعة طيبة ، كما يمثل قوة أصلها وثباته ، فالشجرة الطيبة هي كلمة التوحيد « لاإله إلا الله » وقد جاءت في القرآن ، وأصلها الثابت هو الإيمان الذي هو تصديق القلب وعمله ويقينه ، ومعرفته وإذعانه وانقياده ، وفروعها هي ماينبثق من الأعمال على الجوارح ، ومن الكلم الطيب الذي يصعد إلى الله ، ولايصعد إليه تعالى إلا الطيب من القول والعمل ، وهذا هو ثمرة الإيمان ، قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ... ﴾[1] .

هذه الشجرة الثابتة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها هي شجرة الإيمان في قلب المؤمن ، وقد ضربها الله مثلاً لذلك في كتابه العزيز فالإيمان الذي هو أصلها الثابت قابل للزيادة والنقصان ؛ لأنه مجموع تلك الشجرة ، فحينما يتغذى من تلاوة الذكر الحكيم بإقبال على مناجاة الله وطمأنينة بذكره ، وتدبر وتفهم عند تلاوة كلامه تعالى ؛ يحصل من الخشوع والخشية مايصير به في قلب العبد كالجبل العظيم وذلك هو الإيمان الكامل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2] كما أن تلك الشجرة تذوي وتذبل أغصانها ويضعف ثمرها ، وربما يتحاتّ ورقها حينما تعتري القلب

(١) الآية (١٠) من سورة فاطر .

(٢) الآية (٢) من سورة الأنفال .

الغفلة عن ذكر الله تعالىٰ والإقبال علىٰ شهوات النفس وملذاتها حتىٰ يصير الإيمان كحبة الخردل فيقال حينئذٍ مسلم ، ولايقال مؤمن الإيمان المطلق وبهذا نفهم أن الإيمان أعم من الإسلام وأشمل وأن الإسلام جزء من الإيمان ، كما نفهم أنه لايبقىٰ إسلام لمن لم يكن معه شيء من الإيمان ، وبالله تعالىٰ التوفيق .

اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، وثبت الإيمان في قلوبنا واهدنا صراطك المستقيم ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وآله وصحبه أجمعين .

وكتبه أفقر عباد الله إلىٰ عفو الله ومغفرته
وواسع رحمته ورضوانه
محمد بن أحمد بن عليّ الحكميّ

سلسلة الرسائل النافعة

﴿٢﴾

كَيْفَ يَتَوَجَّهُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْقِبْلَةِ؟

بقلم

فضيلة الشيخ محمد بن أحمد الحَكَمِيّ

المتوفّى رحمه الله سنة ١٤٢١هـ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن من شروط صحة الصلاة استقبال الكعبة البيت الحرام .

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ... ﴾ (١).

قال الإمام الشافعيّ - رحمه الله - : « فنصب الله تعالى لهم البيت والمسجد فكانوا إذا رأوه فعليهم استقبال البيت ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى مستقبله والناس معه حوله من كل جهة ، ودلّهم بالعلامات التي خلق لهم ، والعقول التي ركب فيهم على قصد البيت الحرام ، وقصد المسجد الحرام وهو قصد البيت الحرام ، فالفرض على كل مصلٍ فريضة ، أو نافلة ، أو على جنازة ، أو ساجد لشكر ، أو سجود قرآن : أن يتحرى استقبال البيت ، إلا في حالين رخص الله تعالى فيهما ، سأذكرهما (٢) إن

---

(١) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

(٢) الحالان اللذان وعد الإمام الشافعيّ بذكرهما هما :

أ) حال الخوف الشديد .

ب) حال ركوبه على راحلته فإنه يشرع له أن يتطوع على راحلته حيث توجهت به . =

شاء الله تعالىٰ »[1] .

إذا عُلِم هـٰذا فقد أمرنا الله تعالىٰ أن نستقبل الكعبة البيت الحرام في صلاتنا في أيّ جهة كنا، ومن أيّ جهة في كل بقعة من الأرض، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ... ﴾[2] وشطر البيت قِبَله ونحوه وتُجَاهه وقد نصب الله تعالىٰ علامات بها نهتدي إلىٰ جهة القبلة وإلىٰ أي جهة نقصدها في سفرنا من ليل أو نهار في البر والبحر ، ومن العلامات التي جعلها الله لنا الشمس والقمر والنجوم . قال تعالىٰ : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[3] وقال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ... ﴾[4] فعلينا أن نهتدي بهـٰذه العلامات إلىٰ جهة القبلة حين نطلبها في صلاتنا لاعذر لنا في ذلك ، ولن يقبل الله تعالىٰ منا التقليد في

= وقد فصّل الإمام الشافعي القول فيهما في كتابه « الأم » في : « باب الحالين اللذين يجوز فيهما استقبال غير القبلة » .

راجع « الأم » (٢/٢١٧-٢٢٣) ط . دار الوفاء ، ثم فصّل الكلام في هـٰذا الموضوع كذلك في كتابه « الرسالة » : ص (٢٣-٢٤) ط : دار التراث بتحقيق أحمد شاكر .

(١) الأم (٢/٢١١) ط : دار الوفاء ، بتحقيق : رفعت فوزي عبدالمطلب .

(٢) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

(٣) الآية (١٦) من سورة النحل .

(٤) الآية (٩٧) من سورة الأنعام .

طلب القبلة إلا حين نعجز عن ذلك ، وتلك حال طارئة مؤقتة إلا في حق الأعمىٰ فعليه أن يقلد من يثق به من المسلمين .

ومن أوضح هـٰذه العلامات بالنهار : « الشمس » وبالليل : « القمر » و « الْقُطْب » ؛ لأنه كوكب ثابت في رأي العين لايبرح جهته ولايزول عنها ومن حوله « الْفَرْقَدَان » و « بَنَات نَعْش » ثم « النَّسْرُ الْوَاقِع » و « عَيُّوق » وهـٰذه شمالية ومنها مايتوسط الفَلَك : كـ « الثُّريَّا » و « الدَّبَرَان » و « السِّمَاك الرَّامِح » ومنها الجنوبية : كـ « الشِّعْرِي » مع « الْجَوْزَاء » و « سُهَيل » و « قلب العقرب » وهـٰذه علامات واضحة يعرفها البدويّ الأعرابي رُوَيْعِي الغنم .

ويجدر بنا وقد ذكرنا بعض الدلائل والعلامات من النجوم حسبما وصل إليه علمنا القاصر أن نذكر كذلك جهات بعض بلدان المسلمين وكيف اتجاه كل بلد إلىٰ القبلة علىٰ ضوء مانهتدي به من هـٰذه الدلالات والعلامات ؛ لتتم الفائدة إن شاء الله تعالىٰ بعونه وتوفيقه وهدايته فنقول وبالله تعالىٰ التوفيق :

أولاً : المدينة المشرفة : دار الهجرة وبها مسجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تقع منها مكة المكرمة في الجنوب مابين المشرق والمغرب باعتدال وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم وهو بالمدينة يخاطب أهلها : « مابَيْنَ الْمَشْرِق

وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ »[1] .

وسنتعرض للحديث الشريف وكلام العلماء ـ رحمهم الله ـ فيه قريباً إن شاء الله تعالىٰ ، ومثل أهل المدينة بلاد الشام وماكان علىٰ سمتها إلىٰ أقصىٰ الشمال ، فلهم مابين المشرق والمغرب قبله ، ويقع القطب بين كتفي المصلي بالوسط ، وكذلك فلسطين القدس[2] والأردن ولبنان مع ميل إلىٰ يسار المصلي وكذلك شمال غرب المملكة : تبوك وينبع والوجه مع تياسر قليل إلىٰ الجهة الشرقية .

ثانياً : المغرب والجزائر وتونس وليبيا يجعل المصلي القطب الشمالي عن يساره والجنوب عن يمينه متيامنا قليلاً إلىٰ مطلع الجوزاء .

ثالثاً : مصر : القاهرة والاسكندرية وماسامتهما يجعل المصلي القطب عن يساره ، ومغرب الجوزاء وقلب العقرب عن يمينه مستقبلاً القبلة باتجاه مطلع الجوزاء وقلب العقرب .

رابعاً : السودان : بعكس العراق يجعلون الجنوب الشرقي من مطلع سهيل عن اليمين والشمال الغربيّ مغرب النسر الواقع عن اليسار ، والقطب

---

(١) سيأتي تخريجه تحت العنوان الذي عقده له المؤلف « حديث مابين المشرق والمغرب قبلة » .

(٢) يمكن أن يكون لفظ « القدس » مضافاً إلى فلسطين ، ويمكن أن يكون بدلاً من لفظ « فلسطين » بدل بعض من كل ، والله أعلم .

علىٰ المنكب الأيسر مستقبلين القبلة باتجاه مطلع « النَّسْر الْوَاقِع » .

خامساً : العراق وشمال إيران : يجعلون القطب ومغرب بنات نعش عن اليمين ومطلع الجوزاء وقلب العقرب عن يسار المصلي مستقبلين القبلة بتياسر قليل إلىٰ مغرب سهيل .

يقول الترمذيّ في جامعه : واختار ابن المبارك التياسر لأهل مرو[1] . قلت : وكذلك العراق .

سادساً : أهل المشرق : أفغانستان وماسامتها ، عكس المغرب يجعلون القطب عن يمينهم والجنوب عن يسارهم مستقبلين القبلة بتياسر قليل إلىٰ مغرب الجوزاء .

سابعاً : الباكستان وإمارات الخليج والمنطقة الشرقية : يكون القطب عن يمين المصلي والجنوب عن يساره ومغرب السماك الرامح والثريا في قبلة المصلي باعـ[illegible]ال عدا المنطقة الشرقية للملكة يتياسر المصلي قليلاً إلىٰ مغرب الجوزاء .

ثامناً : الجنوب : بالنسبة لجنوب افريقيا الوسطىٰ كالحبشة وأثيوبيا وجمهورية كينيا وماوالاها[2] تكون القبلة من هنالك مابين المشرق والمغرب باتجاه

(١) (١٧٥/٢) .

(٢) لم يتضح لي مراده بقوله : « وماوالاها » ولعله بمعنىٰ « سامتها » كما استعمله =

القطب على الاعتدال ، عكس المدينة والشام أما جنوب اليمن من الجزيرة العربية كعدن وصنعاء وحضرموت وجنوب المملكة العربية السعودية : منطقة جازان فأبها ونجران والربع الخالي إلىٰ تهامة عسير فغامد وزهران وماوالاهما إلىٰ جنوب الطائف : بني مالك وبني سعد وماسامت تلك المنطقة إلىٰ ساحل البحر الأحمر فإن اتجاه القبلة في هذه المناطق بميل عن اتجاه القطب إلىٰ المغرب قريباً من مغرب بنات نعش ويزيد التياسر كلما ذهبت إلىٰ الجنوب الشرقي كنجران وشرورة وفي اليمن كشرق حضرموت إلىٰ سلطنة عمان .

فمن زعم أن اتجاه القبلة في هذه المناطق الواقعة في جنوب الجزيرة العربية هو اتجاه القطب فقد أخطأ في زعمه ووهم وهماً كبيراً .

وماذكره الإمام الغزاليّ في كتابه « الإحياء » من أن القطب الشمالي بالنسبة للجنوب كاليمن وماوالاه يقع في مقابلة المستقبل[1] فذلك وهم منه - رحمه الله - لايوافق الحقيقة وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك ماعدا المعصوم صلىٰ الله عليه وسلم .

وقد تابعه علىٰ هذا الخطأ الإمام الفخر الرازيّ في تفسيره الكبير فنقل

= غير مرة وربما أراد مايليها ، والشيخ متابع للإمام الغزاليّ في هذا الاستعمال كما ترىٰ في النص المنقول عنه في الهامش التالي .

(١) في (٢٦٤/٢) ونصه « وفي البلاد الجنوبية كاليمن وماوالاها فيقع في مقابلة المستقبل » أي المستقبل لهم من الجهة المقابلة .

هـٰـذه الجملـة من « الإحياء » بالنص[1] وليسا بـمعصومين من الخطأ - رحمهما الله تعالىٰ - وكلامهما هـٰذا إنـما يصدق في حق الجنوب الواقع علىٰ ساحل البحر الأحمر مـن الجنوب الغربـي كالحبشة وجمهورية كينيا وماوالاهما حيث تقـع علىٰ خـط «٤٠ْ» الـذي يـمـتد شمـالاً علىٰ مكـة المكـرمة فمن هنالك يكـون القطـب كمـا يقـول الغزالـي والرازيّ في مقابلة المستقبِل علىٰ الوسط وبدون انحراف .

أما جنوب المملكة فقد قدمنا الكلام عنه فأغنىٰ عن الإعادة .

فـإذا علم ذالك فإن المصلي في هـٰـذه المنطقة إذا اتجه يطلب القبلة في اتجاه القطـب ، يكـون مـنحرفاً عـنها إلىٰ جهة المشرق شاء أم أبىٰ ، حيث إن مكة المكرمة تقع علىٰ خط «٤٠ْ» وهـٰـذه المنطقة لاتقع علىٰ الخط نفسه وإنـما هي شرق خط «٤٠ْ» في الوسط بينه وبين خط «٤٥ْ» والله تعالىٰ ولـيّ التوفيق .

وكـل مابينـته في هـٰـذه الوريقات أرجو أن يكون عين الحقيقة والصواب إن شـاء الله تعـالىٰ ، وإذا وقـع شـيء مـن الخطـأ فإنـي محل ذالك وماتوفيقي إلا بالله .

والـذي أريـد أن أدلـل علـيه هـو مايـتعلق بجـنوب المملكـة والـيمن كما

---

(١) راجـع « التفسـير الكـبير » (٢/١٢٨-١٢٩) ويُفهـم من كلام الشيخ رحمه الله تعالـىٰ أن الإمـام الـرازيّ نقـل عـن الإمـام الغـزالـيّ رحمهمـا الله تعـالـىٰ ، ولـم أجـد عـزواً للرازيّ عن الغزالـيّ .

أوضحت سابقاً :

والأدلة كما يلي :

أولاً : تأخر الغروب في مكة المكرمة أيام الصيف عن منطقة جازان بثلث ساعة تقريباً ، ووجه الدلالة من هـٰذا : أن مكة تميل إلىٰ جهة المغرب كما تميل المنطقة الجنوبية إلىٰ جهة المشرق وكل ماتقدم إلىٰ جهة المغرب يتأخر فيه الليل ، والعكس بالعكس فهـٰذا الفرق في الزمن يدل بوضوح علىٰ ميل القبلة إلىٰ جهة المغرب بالنسبة لنا - كما أن الرياض مثلاً إذا جاء وقت الشتاء يتقدم غروب الشمس هنالك بمقدار نصف ساعة عن منطقة جازان وكذلك كل ماسامت الرياض وكذا طلوع الشمس يتقدم كل ماذهبت إلىٰ المشرق وهـٰذا معلوم بالحس والمشاهدة .

ثانياً : الآلة الكاشفة للجهات : (إبرة البوصلة المغناطيسيّة) وهي دقيقة في ضبط جهة القبلة بواسطة الأرقام المحددة للجهات في كل بلدان المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وكيفية استعمالها في غاية السهولة ، يعلم من الدليل المصاحب لها .

وميزانها الإبرة المغناطيسية تتحرك دائماً باتجاه القطب الشمالي بالنسبة للنصف الشمالي من خط الاستواء ، ولكل جهة رقمها المختص بها

وهي وساعة اليد شيء واحد لافرق بينهما هـٰذه لضبط الجهات والأمكنة وتحديدها ، وتلك لضبط الزمن وتحديده ومن فرق بينهما فقد فرق بين المتماثلين ـ ولقد أجريت الامتحان علىٰ صدق هـٰذه الآلة بالمسجد النبويّ الشريف بحضور الثقة من الإخوان فوجدتها لم تنحرف عن المحراب قيد شعرة[1] وعندئذٍ علمت يقيناً أنها قد صممت علىٰ علم وبدقة مثل ساعة اليد سواء .

ثالثاً : اتجاه سيرنا في الأسفار من جازان ومن أبها ومن نجران ، إلىٰ الطائف ومكة معلوم لمن يلاحظ خط الاتجاه من مكة علىٰ طريق الجنوب أبها ونجران وجازان حيث يستمر الاتجاه معك علىٰ مطلع سهيل سواء كان السفر جواً أو براً وقد لاحظت هـٰذا في أكثر من عشرين رحلة من جازان إلىٰ جدة والعكس ، باتجاه مطلع سهيل ، لاحظت ذلك ملاحظة دقيقة تفيد علم اليقين بل عين اليقين وهـٰذا أوضح برهان .

رابعاً : الخارطة التي تمثل الجزيرة العربية ـ فاتجاه البحر والسلسلة الجبلية مع تهامة تميل إلىٰ جهة الغرب تدريجياً من الجنوب إلىٰ الشمال .

---

(١) إجراء اختبار آلة القبلة « البوصلة » في المسجد النبويّ ليس للتأكد من صحة قبلته ، وإنما من أجل اختبار دقة هـٰذه الآلة ؛ لأن قبلة المسجد النبويّ محدّدة بتوجيه الله لنبيه صلّىٰ الله عليه وسلّم وتسديده له ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ...﴾ الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

أقول : الحديث رواه الترمذي من طرق ، قال أبو عيسىٰ : حديث أبي هريرة قد رُويَ عنه من غير هٰذا الوجه ، وساق حديث عبدالله بن جعفر الْمَخْرَمِيّ - وهو أصحها - عن عثمان بن محمد الأخنسيّ ، عن سعيد الْمَقْبُرِيّ عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ »[1] قال أبو عيسىٰ : هٰذا حديث حسن صحيح ، ثم قال : وقد روي عن غير واحد من أصحاب النبي صلّىٰ الله عليه وسلم : « مَابَيْنَ

---

(١) أخرجه الترمذيّ في « جامعه » - كما ذكر الشيخ - في أبواب الصلاة : باب ماجاء أن مابين المشرق والمغرب قبلة (١٧٣/٢) برقم (٣٤٤) من طريق المعلّىٰ بن منصور عن عبدالله بن جعفر به ، وقال : هٰذا حديث حسن صحيح .
ومن طريقه : أخرجه البغويّ في « شرح السنة » (٣٢٧/١) برقم (٤٤٦) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٢/٢) عن المعلّىٰ بن منصور به مثله وأخرجه الترمذي في الموضع نفسه برقم (٣٤٢) و (٣٤٣) وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة من سننه : باب القبلة (٣٢٣/١) برقم (١٠١١) من طريق أبي معشر عن محمد بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه .
قال الترمذي عقب إخراجه لحديث أبي مَعْشَر (١٧٢/٢) : « حديث أبي هريرة قد روي عنه من غير هٰذا الوجه ، وقد تكلم بعض أهل العلم في أبي مَعْشَر من جهة حفظه ، واسمه « نجيح ، مولىٰ بني هاشم » قال محمد - يعني الإمام البخاريّ - لاأروي عنه شيئا ، وقد روىٰ عنه الناس .
قال محمد : « وحديث عبدالله بن جعفر الْمَخْرَمِيّ عن عثمان بن محمد الأخنسيّ عن سعيد الْمَقْبُرِيّ عن أبي هريرة أقوىٰ من حديث أبي مَعْشَر وأصحّ » .

« الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ » منهم : عمر بن الخطّاب[1] ، وعليّ بن أبي طالب[2] ، وابن عباس[3] .

وقال ابن عمر : « إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة ، إذا استقبلت القبلة »[4] .

قال الترمذيّ : واختار ابن المبارك التياسر لأهل مرو[5] .

---

(١) حديث عمر رضي الله عنه : أخرجه عنه مالك في « الموطّأ » (١/١٩٦) برقم (٨) عن نافع عن عمر ، وزاد « إذا تُوجِّه قِبَلَ البيت » .
وفيه انقطاع ؛ لأن نافعاً لم يسمعَ من عمر ، قال أحمد بن حنبل : نافع عن عمر منقطع .
راجع « التهذيب - ط . الرسالة » (٤/٢١١) .
وقد وصله عبدالرزاق في « المصنف » (٢/٣٤٥) برقم (٣٦٣٣) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢/٣٦١-٣٦٢) حيث روياه عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما .

(٢) و(٣) حديثا عليّ وابن عباس رضي الله عنهم أخرجهما ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢/٣٦٢) وللحديث طرق وشواهد كثيرة تدل على ثبوته ، ولله الحمد والمنة .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢/٣٦٢) عن وكيع عن المسعوديّ عن القاسم بن عبدالرحمٰن عن ابن عمر ، وزاد في آخره « لأهل الشمال » .
وأورده الترمذيّ في جامعه (٢/١٧٤) بهٰذا اللفظ .
وقال ابن أبي أبي حاتم في « العلل » (١/٣٦٥) ح (٣٣٢) : « سألت أبي عن حديث رواه حماد بن سلمة عن الحجاج عن القاسم بن عبدالرحمٰن : أن عبدالله بن عمرو قال : « إذا جعلت ... » الحديث .
قال أبي : روى هٰذا الحديث المسعوديّ عن القاسم بن عبدالرحمٰن عن عبدالله بن عمر ، وهٰذا أشبه .

(٥) « الجامع » (٢/١٧٥) وقد تقدم ص (٥٤) .

وحديث عمر بن الخطاب في « الموطأ » عن نافع أن عمر بن الخطاب قال : « مابين المشرق والمغرب قبلة »[1] .

قال السيوطيّ : « ليس هـٰذا عاماً في سائر البلاد ، وإنما هو بالنسبة لأهل المدينة المشرفة ونحوها »[2] .

وقال البيهقيّ في الخلافيات : « المراد ـ والله أعلم ـ أهل المدينة ومن كانت قبلتهم علىٰ سمت أهل المدينة »[3] .

وقال الشوكانيّ : « وقد اختلف في معنىٰ حديث الباب الأول[4] ، فقال العراقيّ : ليس عاماً في سائر البلاد وإنما هو بالنسبة إلىٰ المدينة المشرفة وماوافق قبلتهما ، وهـٰكذا قال البيهقيّ في « الخلافيات » وهـٰكذا قال أحمد ابن خالويه الوهبي ، قال : ولسائر البلدان من السعة في القبلة مثل ذلك بين

---

(١) تقدم تخريجه آنفاً .

(٢) لم أقف عليه في مارجعته من تصانيف السيوطيّ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) هـٰذا العزو لكتاب « الخلافيات » جاء ضمن نقل المؤلف عن الشوكانيّ في « نيل الأوطار » وإلا فإن كتاب الخلافيات لم يطبع منه إلا ثلاثة أجزاء ، تنتهي إلىٰ أحكام الاستحاضة ، وقد رجعت إلىٰ مختصره للّخميّ الإشبيليّ فلم أظفر بهـٰذا النقل .

وهـٰذا النقل بنصه في « السنن الكبرىٰ » للبيهقيّ (٢/٩) وزاد فيه : « فيما بين المشرق والمغرب يطلب قبلتهم ، ثم يطلب عينها » .

(٤) يقصد حديث « مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ » لأنه أول حديث ورد في هـٰذا الباب في « المنتقىٰ » .

الجنوب والشمال ونحو ذلك[1] » .

قال ابن عبدالبر : « وهو صحيح لامدفع له ولاخلاف بين أهل العلم فيه[2] » .

« وقال الأثرم : سألت أحمد بن حنبل عن معنىٰ قول عمر : « مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ » فقال : هٰذا في كل البلدان إلا مكة عند البيت فإنه إن زال عنه بشيء وإن قلّ فقد ترك القبلة .

قال : وليس كذلك قبلة البلدان .

ثم قال : هٰذا المشرق وأشار بيده ، وهٰذا المغرب وأشار بيده ومابينهما قبلة .

قلت له : فصلاة من صلّىٰ بينهما جائزة ؟ قال : نعم ، وينبغي أن يتحرىٰ الوسط[3] » .

قال ابن عبدالبر : « تفسير قول أحمد : « هٰذا في كل البلدان » يريد أن البلدان كلها لأهلها من السعة في قبلتهم مثل مالمن كانت قبلته بالمدينة الجنوب التي تقع لهم فيها الكعبة فيستقبلون جهتها ويتسعون يميناً وشمالاً

---

(١) « نيل الأوطار » (١/٧٢٠) .

(٢) « الاستذكار » لابن عبدالبر (٧/٢٢٢) .

(٣) المصدر نفسه (٧/٢٢٠) .

فيها مابين المشرق والمغرب ، يجعلون المغرب عن أيمانهم والمشرق عن يسارهم ، وكذلك لأهل اليمن من السعة في قبلتهم مثل مالأهل المدينة مابين المشرق والمغرب إذا توجهوا أيضاً قبل القبلة ، إلا أنهم يجعلون المشرق عن أيمانهم والمغرب عن يسارهم[1] » .

قلت : وينبغي أن يتياسروا عن جهة القطب إلىٰ مغرب بنات نعش .

قال ابن عبدالبر : « وكذلك أهل العراق وخراسان لهم من السعة في استقبال القبلة مابين الجنوب والشمال مثل ماكان لأهل المدينة في مابين المشرق والمغرب . وكذا هٰذا العراق علىٰ ضد ذلك أيضاً ؛ وإنما تضيق القبلة كل الضيق علىٰ أهل المسجد الحرام ، وهي لأهل مكة أوسع قليلاً ، ثم هي لأهل الحرم أوسع قليلاً ، ثم هي لأهل الآفاق من السعة علىٰ حسب ماذكرنا » .

انتهىٰ كلام الإمام ابن عبدالبر[2] ، علىٰ كلام الإمام أحمد كما حكاه عنهما الإمام الشوكانيّ في « نيل الأوطار[3] » .

إذا عُلِمَ ذلك : فالحديث إنما يدل بالنص علىٰ أمور :

---

(١)و(٢) في « الاستذكار » (٧/٢٢٠-٢٢١) .

(٣) (١/٧٢٠-٧٢١) .

أولاً : على التوسط في السعة بين المشرق والمغرب لأهل المدينة ومن في حكمهم ممن تتوسط القبلة في حقهم بين المشرق والمغرب كما نص على الخصوص السيوطيّ والبيهقيّ والعراقيّ وابن خالويه[1] .

ثانياً : من المعلوم أن المقصود بالحديث من حيث عموم المعنى التوسع في طلب القبلة سواء كانت بالمدينة أو اليمن أو بالمشرق أو بالمغرب أو فيما بين ذلك من الجهات الأخرى من بلاد المسلمين ، الكل لهم من السعة في طلب جهة القبلة مثل مالأهل المدينة من السعة بين المشرق والمغرب ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾[2] ويقول تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴾[3] وهذا معنى كلام الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، كما فسره الإمام ابن عبدالبر وذلك أيضاً مايريد به ابن عبدالبر عندما يقول : « وهو صحيح لامدفع له ولاخلاف بين أهل العلم فيه[4] » يريد : السعة عند طلب القبلة .

ثالثاً : الذي يفهم من الحديث في حق المجتهد في طلب القبلة حين لايكون

(١) راجع « نيل الأوطار » (١/٧٢٠) .
(٢) الآية (٧٨) من سورة الحج .
(٣) الآية (١٨٥) من سورة البقرة .
(٤) تقدم آنفاً .

علىٰ يقين من حقيقة جهة القبلة ، أما حين يكون علىٰ يقين من حقيقة الجهة فإنه يتوجه حيث تيقّن الجهة شطر المسجد الحرام كما أمره الله تعالىٰ في قوله : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ... ﴾ [1] ولهـٰذا ترجم الإمام البيهقيّ في كتابه « السنن الكبرىٰ » لهـٰذا المعنىٰ حيث قال : { باب من طلب باجتهاده جهة الكعبة [2] } وأسند الحديث : « مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ » [3] - وهـٰكذا فهم - رحمه الله - المقصود من الحديث ، وهـٰذا من فقه تراجم أهل الحديث - رحمهم الله تعالىٰ - وإلا فواجد الشيء لايطلبه ، وإنما يطلب مالم يكن عند الطلب موجوداً لديه ؛ فيطلبه حتىٰ يجده إن أمكن أو يطلبه من حيث يغلب علىٰ ظنه أنه موجود ، وهـٰذا كقوله صلّىٰ الله عليه وسلم في ليلة القدر لمن يطلبها : « تَحَرَّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ » [4]

---

(١) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

(٢) في (١/٩) .

(٣) تقدم تخريجه : ص (٥٩) .

(٤) متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

أخرجه البخاريّ في كتاب فضل ليلة القدر من صحيحه : باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر (٣٠٥/٤- فتح) برقم (٢٠١٧) من طريق أبي سهيل عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها بلفظ : « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ » .

وأخرجه في الموضع نفسه برقم (٢٠٢٠) من طريق عَبْدَة عن هشام بن عروة عن أبيه عن =

فليست هي في العشر كلها ، وإنما هي في ليلة واحدة من العشر مبهمة غير معلومة يقيناً في ليلة بعينها ، وهي لاتخرج عن العشر المذكورة في رمضان كما أخبر الصادق المصدوق ـ صلّىٰ الله عليه وسلم ، فكذلك المقصود من الحديث «مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ»(1) .

يطلب المجتهد القبلة عندما يقوم للصلاة بين هاتين الجهتين ، أو ماهو في حكمهما كما بين الجنوب والشمال ، ويتحرىٰ الوسط حين لايجد دليلاً يدله علىٰ تحديد جهتها بيقين ، أما حين يكون علىٰ علم من تحديد حقيقة الجهة بيقين فيعمل علىٰ يقينه لايسعه الخروج عنه ، والله يقول : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ... ﴾(2) يعني المسجد الحرام والأمر للوجوب .

= عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان».

وأخرجه مسلم في كتاب الصيام من صحيحه : باب فضل ليلة القدر ... (٨٢٨/٢) برقم (١١٦٩) من طريق وكيع عن هشام به مثله .

وأخرجه البخاريّ برقم (٢٠١٩) من طريق يحيىٰ القطان عن هشام به بلفظ « التمسوا ليلة القدر ...» بمثل حديث أبي سهيل .

وأخرجه مسلم برقم (١١٦٩) من طريق ابن نمير عن هشام به مثله .

(١) تقدم تخريجه : ص (٥٩) .

(٢) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

فكل من علم جهة القبلة بيقين ، لزمه أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام كما يلزم من يعاين الكعبة أن يستقبل عينها لايسعه غير ذلك ، والله تعالى ولي التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

سلسلة الرسائل النافعة

﴿٤﴾

حَقِيقَةُ جِهَةِ الْقِبْلَةِ فِي جَنُوبِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بقلم

فضيلة الشيخ محمد بن أحمد الحَكَمِيّ

المتوفّى رحمه الله سنة ١٤٢١هـ

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

حقيقة جهة القبلة

يتصوّر الكثير من الناس ، بل أكثرهم يتصوّر خطأ أنّ مكة والطائف تقع في وسط الشمال القطبي لجنوب الجزيرة العربية : السعودية واليمن ، كما تقع من المدينة النبوية في وسط الجنوب سواء بدون انحراف ، وهذا التصوّر غير صحيح بل خطأ كبير ، وإن قال به من قال من بعض العلماء تقليداً لبعضهم بعضاً ، يدل على هذا وضع مساجد المنطقة من ساحل المُوَسَّم[1] إلى منطقة نجران وشرورة شرقاً ، وشمالاً إلى غامد وزهران وبني مالك ، إلى جنوب الطائف يتبع في هذا الوضع آخر القوم أوّلهم من دون رويّة ولافهم ، بل هي قضية مُسَلَّم بها لدى الأولين والآخرين ، والعجب العجاب استدلال طلبة العلم على هذا بحديث « مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ »[2] ولم يفكروا ولم يمعنوا النظر في اتجاه المنطقة الجنوبية من مكة ، واتجاه مكة من المنطقة ، حيث يختلف عن اتجاه المدينة وماسامتها من بلاد الشام كسوريا ، فإن اتجاه القبلة من المدينة يقع مابين المشرق والمغرب سواء بدون انحراف ، وليس كذلك منطقة جنوب الجزيرة من البحر الأحمر إلى جنوب الخليج العربي وحضرموت باليمن ، حيث يقع اتّجاه مكة من هنالك في اتّجاه

(١) الْمُوَسَّم : قرية تقع في أقصى الجنوب الغربي من المملكة وهي من القرى المتاخمة للحدود اليمنية .

(٢) تقدم تخريجه في الرسالة التي قبلها : ص (٥٩) .

الربع الغربيّ من الأفق الشماليّ القطبيّ وثلاثة أرباع الأفق عن اليمين من اتجاه مكة ، فيكون اتجاه المصلّي إلى القبلة لمن أرادها باتجاه مغرب الثلاثة الأخيرة من بنات نعش السبعة ، ويكون نجم سهيل اليمانيّ خلف الكتف اليمنى للمصلّي ، والنجم القطبيّ فوق مؤخر حاجبه الأيمن وعندئذ يكون وجه المصلّي تجاه القبلة كما أمره الله تعالى ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ... ﴾(١) وشطره قِبَلَه .

أما طلب جهة القبلة باتجاه القطب فخطأ فاحش ، إلا إذا كان المصلّي في جنوب الحبشة من أفريقيا فيطلب من هناك جهة القبلة باتجاه القطب الشماليّ في الوسط عكس اتجاه المدينة سواء ، دون انحراف يمنة ولايسرة ، وهذا ماينبغي أن يُعلم ويُفهم لمن أراد أن يَعلم ويَفهم .

فالقبلة في حقيقة الشرع هي الكعبة المشرفة زادها الله شرفاً وحماها من كيد العابثين ، فهي قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ولاأدل على وجوب استقبالها من قول الله تعالى مخاطباً رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمته تبع له إذ يقول تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ... ﴾(٢) وكذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم وفعله :

(١) و(٢) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

إذ ركع ركعتين في وجه الكعبة ثم قال : « هَـٰذِهِ الْقِبْلَةُ »[1] وهـٰذا بعض مدلول قوله تعالىٰ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ... ﴾[2] يعني الكعبة عند المعاينة ، وإلىٰ المسجد إذا كنت نائياً لم تستطع معاينة الكعبة ؛ لأنه تعالىٰ يخاطب نبيه صلّىٰ الله عليه وسلّم بلغته ولغة أمته لغة العرب ، وهي تعبّر عن الشيء بما يجاوره أو بما يشتمل عليه ، وإنما أراد سبحانه أن يعرّف أمته مَن بَعُد منهم عن البيت بأنه تعالىٰ يقصد الناحية لاعين الكعبة حين تصعب معاينتها علىٰ من بَعُد عنها ، وهـٰذا مقتضىٰ تأويل القرآن فقد ورد لفظ الكعبة في القرآن الكريم مرتين : فمرة قصد بها ماحولها من الحرم في قوله تعالىٰ : ﴿ هَدْيًا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ... ﴾[3] وقصد بها في المرة الثانية عين البيت حيث قال تعالىٰ : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ... ﴾[4] وهـٰذه الآية الكريمة تحدد عين القبلة في دين الله كما قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ

(١) أخرجه البخاريّ في كتاب الصلاة من صحيحه برقم (٣٩٨) ومسلم في كتاب الحج من صحيحه برقم (١٣٣٠) من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

(٣) الآية (٩٥) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٩٧) من سورة المائدة .

﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1] .

فالمصلّي إمّا أن يكون مشاهداً الكعبة فيلزمه استقبال عينها ، وإمّا أن يكون نائياً عنها فيتعيّن استقبال الجهة لقوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ... ﴾[2] وشطره قِبَلـه ونحوه وجهته .

وهـٰذا من تيسير الله تعالىٰ وتوسعته علىٰ الأمة حيث لم يُكلّف النائي عن الكعبة استقبال عينها كما كُلّف من هو مشاهد لـها .

فالمصلّي إما أن يكون مشاهداً للكعبة ، ففرضه استقبال العين بكل بدنه وإما أن يكون نائياً عن المسجد الحرام ، فلا يستطيع التوجه في صلاته إلىٰ عين الكعبة ، ففرضه قصد جهة الكعبة لايكلفه الله تعالىٰ غير ذلك لقوله تعالىٰ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ... ﴾[3] وغاية الشطر أن لايكون الميل علىٰ نحو تزول به مواجهة القبلة وهي الكعبة المشرفة ، كالميل الواقع في اتجاه مساجد المنطقة ؛ فإنها كما قدمنا تميل جداً عن مواجهة القبلة التي هي الكعبة البيت الحرام ، حيث يقصد بها عمداً إلىٰ مواجهة القطب الشماليّ بدون انحراف ، بزعم أن القبلة تقع باتجاه القطب الشماليّ في الوسط ، مستدلين

---

(١) الآية (١٢٥) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١٥٠) من سورة البقرة .

(٣) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

بحديث : « مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ » وقد تقدّم الكلام عليه[1] .

ثم إن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم حدّد القبلة حينما ركع في جهة الكعبة قال : « هَـٰذه هِيَ الْقِبْلَةُ »[2] بإيراد ضمير الفصل بين جزأي الجملة الابتدائية ، ليدل علىٰ الحصر والقصر ، وفي قوله صلّىٰ الله عليه وسلّم : « مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ »[3] فالأول تحديد لحقيقة القبلة والثاني تحديد لاجتهاد المصلّي في طلب جهة القبلة التي هي شطر المسجد الحرام وفرْق بين العالم بجهة القبلة كما هي ، وبين من يطلب الجهة باجتهاده ولم يعلم حقيقة الجهة عند قيامه للصلاة ، فهـٰذا فرضه الاجتهاد ، وله في ذلك الاتساع في طلب الجهة ثم يصلي الصلاة كما أداه اجتهاده ، لايكلف الله نفساً إلا وسعها . والثاني فرضه التوجه شطر المسجد الحرام لايجوز له ـ وقد علمه ـ الانحراف بوجهه يمنة أو يسرة .

إذا علم هـٰذا فقوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ... ﴾[4] يدل علىٰ أمور :

١ – أن هـٰذا الأمر في حق العالم بالجهة .

٢ – أن غيره إن كان من أهل الاجتهاد ففرضه الاجتهاد في طلب الجهة

---

(١) و(٣) راجع ص (٥٩) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٧٢) ولم أقف عليه بلفظ « هَـٰذِه هِيَ ... » بإيراد ضمير الفصل في ماراجعته من مصادر حديثيّة .

(٤) الآية (١٥٠) من سورة البقرة .

مابين المشرق والمغرب ، أو مافي حكمها .

٣- فإن لم يكن من أهل الاجتهاد ففرضه التقليد لمن يثق به من أهل الخبرة بجهة الكعبة أو المسجد الحرام .

٤- من يتعذر عليه استقبال القبلة كالسجين في غرفة مظلمة ، فهذا يتوجه إلى الله تعالى ويصلّي قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وخلاصة القول : أن حديث : « مَابَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ » لايستقيم معناه إلا في حق من لايعلم علم اليقين صواب جهة الكعبة فعليه الاجتهاد في طلبها متى قام إلى الصلاة ولهذا يقول الشيخ حافظ - رحمه الله - :

يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ مَن لَهَا اهْتَدَىٰ وَتَائِهٌ عَلَيْهِ أَن يَجْتَهِدَا (٢)

وقال الإمام البيهقيّ في كتابه « السنن الكبرىٰ » : « باب من طلب باجتهاده جهة الكعبة » ثم ساق حديث : « مابين المشرق والمغرب قبلة » (٣) أما العالم بالجهة فلا حاجة به إلىٰ اجتهاد في طلبها فإنه يُعدّ من باب تحصيل الحاصل .

---

(١) الآية (١١٥) من سورة البقرة .

(٢) في « السبل السوية في نظم فقه السنن المروية » : ص (١٧) الطبعة الأولىٰ ، وفي ص (١٦) ط : دار الإفتاء .

(٢) السنن الكبرىٰ (٩/٢) كما تقدم في الرسالة الأولىٰ .

هـٰـذا ماينبغي أن يُعلم ويُفهم ، وبالله التوفيق ، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

قائله الفقير إلىٰ عفو ربه

محمد بن أحمد بن عليّ الحكميّ

اَلْمُحْتَوىٰ



مطابع الإبتكار-الدمام ت: ٨٤٧٣٨٨٠

ردمك : ٤ - ١٨ - ٤٤-٩٩٦٠